

المشروعُ والممنوعُ

في قضايا
القبابُ، المحاريب، المساجدُ والقبور
شد الرّحال، الموالد، زيارة القبور
مسجد الرسول، التبّرك بالصالحين
وبعض مايتعلق بكل ذلك..

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

المشروع والممنوع

في قضايا :

القباب ، المحاريب ، المساجد والقبور ، شد الرحال ، الموالد ، زيارة القبور ، مسجد الرسول ، التبرك بالصالحين ..

وبعض ما يتعلق بكل ذلك ..

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

قدم لها وعلق عليها
محيي الدين حسين يوسف الإسنوي
تلميذ المؤلف ومن خريجي الأزهر

الناشر
دار إحياء التراث الصوفي

أيها الأخ المحمدى ...

اجعل من سلوكك العملى قدوة ودعوة إلى الله، فأعلن الأذان وصلاة الجماعة حيث كنت، وادع إليها أسرتك من حولك ولو رجلاً واحدًا، وصلّ بالجماعة صلاة متقنة خاشعة تامة خفيفة لا ترهق الناس، ولازم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى أدب ويسر وبساطة، ورفق وسماحة، واعرض دعوتك على الخواص والصفوة فهى دعوة غالية، ولا تجادل من يخالف مذهبك فلن تتبعه أبدًا ولن يتبعك أبدًا، فجداله إضاعة للوقت وتعرض للفتنة، ويكفى أن تدفع بالتى هى أحسن. وتذكر المعنى الشامل فى قوله تعالى: ﴿ **واجعلنا للمتقين إماما** ﴾.

من رسالة (الآداب) للإمام الرائد

بسم الله الرحمن الرحيم

المساجد والأضرحة والقباب والمحاريب

١ - الافتتاحية :

حمداً لله ، وصلاةً وسلاماً على مصطفاه، ومن والاه، فى مبدأ الأمر ومنتهاه. .

أما بعد :

فقد كنت بدأت كتابة هذه الرسالة (الموجزة) فى فصول قليلة مركزة، لتكون (مقدمة وافتتاحية) للطبعة الجديدة من كتابنا (مراقد أهل البيت)؛ لدفع شبهات بعض الغالين والمخالفين، حول ما يتعلق بالموتى والقبور، تثبيتاً لقلوب أحباء (أهل البيت) وأولياء الله الصالحين، وإسعافاً بالدليل الواضح فى اعتدال ووسطية إسلامية علمية مميزة. .

ثم إذا بى أجد أمامى عديداً من الفصول التى تستوجب البيان لقضايا (المشروع والممنوع) فى أهم (الخلافات الفرعية) التى يتعين الإشارة إليها، والتى هى (حجرُ الرّحَى)

فى بقايا الخلاف بين ا(التصوف والتمسلف) منذ ذرّ قرن هذه الفتنة العمياء فى حوالى القرن السابع تقريباً.

وبرغم مرضى الطويل، ولزوم فراشى الدائم، لم أرفع قلمى عن الكتابة، إلا وبين يدى هذه الرسالة التى بدأتها على أنها (مقدمة وافتتاحية) ثم عمنى شعور عاصف بأن الله أراد هذا، ليسعف الناس فى هذه الأيام بمختصر مركز، ليطرد عنهم كوابيس التمسلف المشبوه، ويأخذ بيدهم إلى الوسطية الشرعية التى تجمع الصف، وتقرب بين الأمة، وتأخذ بيدها إلى ما هو أهم وأخطر من معالى الأمور ومطالب الحياة المعاصرة، ثم لتكون بيد (الصوفية الشرعية الراشدة) سلاحاً ومصباحاً كلما هبت رياح الخلاف التمسلفى اللئيم، وتركت الناس حيارى لا يهتدون السبيل، فى ظلمات التحريف والتخريف والتصحيف، وفى أمواج التهويل والتضليل والتغفيل، ومع البذاءة والنذالة والحماقة والشتم والسب، واتهام أهل (لا إله إلا الله) بالكفر والشرك والزندقة، مما انهار بالأمة إلى هذا الحضيض الأدنى، والدرك الأسفل، فى كل مقومات الحياة، مع فقدان العزة والمجد والسيادة.

وإنى أسأل الله ، أن يكون عملنا وقولنا جميعاً - سابقاً ولاحقاً - مع صدق النية ونقاء الطوية، وصفاء الذاتية، خالصاً لوجهه الكريم، وفى سبيل خدمة الإسلام والمسلمين، ولا ندعى العصمة؛ فقد تكون هناك أخطاء فكرية، أو عبارات جزافية سبق بها القلم، دون قصد لشخص أو طائفة معينة؛ فإنى أستغفر الله عن ذلك كله، وأعتذر إلى الناس ، فإنى بشر خطاء ، وربما دفعنى إلى هذه الشدة أحياناً بعض ما عانيت وما أعانى من المتمسلفة، وما أعرفه بيقين من انحراف وانجراف بعضهم فى سبيل الدنيا، تحت ستار الدين المفترى عليه.

وأعود فأستغفر الله ، وأعتذر إلى الناس، وأعترف بالعجز والتقصير، وأسأل الله العفو والعافية، وحسن الخاتمة. . والحمد لله رب العالمين.

المفتقر إليه تعالى وحده

محمد زكى إبراهيم

٢- الأضرحة والمساجد :

لابد لنا قبل الحـديث عن مراقد أهل البـيت (فى حدود علمنا)، إذ أن كل هذه المراقـد ملحـقة بالمسـاجد فى أبنيـة (مقصورة) عليها خاصة بها من البحوث الآتية.

ثم إن إنشـاء ضريح على قـبر رجل صالـح أو صاحب خصـيصة مميزة أمـر مشروع، بما ثبت فى البـخارى من أن الرسول ﷺ وضع حجرًا كـبيراً خاصّاً على قبـر (عثمان بن مظعون) وقـال ﷺ : «أتعلم - أى أعرف - به قـبر أخى» فالكلام فى منع هذا الجانب تشغيب وفتنة، فالحديث صريـح فى جواز تميـز قبـر أهل الخصـايص بما يناسب كل عصر.

ولكل زمن ما يناسبه من اجتهاد فى حكم مشروع أو أمر مباح.

فليست هذه الأضـرحة مساجد أبدًا ، ولا هـذه المساجد التى فى جوارها أضـرحة أبدًا ، فالضـريح ضريح مسـتقل تمامًا ، والمسجد مسجد مستقل تمامًا وإن تلاصقا، وإذن فقد سقط التشويش والتخليط الذى يموهون به فى هذا الجانب.

٣- حكم الصلاة فى المساجد ذات الأضرحة :

بداية نقرر أن أحاديث النهى عن اتخاذ القبور مساجد، أحاديث ثابتة لها قدرها ووزنها العلمى، فلا جدال حولها، وإنما الجدال حول مفهومها كما أسلفنا، فاتخاذ القبور مساجد معناه أن الرجل يصلى للقبر مثلا، وقد يدخل فيه صلاة الرجل فوق القبر أو يجعله أمامه كأنه يعبده تشبهًا بالأوثان، وعليه يحمل حديث: لعن اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يسجدون فيها لهم لا لله عز وجل، فوجود القبر فى مكان خاص مستقل به ، لا يمكن أبداً أن يسمى مسجداً، ولا أن يقع تحت هذه الأحكام ، فالمسجد كما كررنا مسجد، والقبر قبر، هذا غير هذا ، مهما تلاصقا وتجاورا.

٤- القبر بجوار المسجد سنة صحابية:

وهذا المعنى أدركه الصحابة عند دفن سيدنا رسول الله ﷺ فى قبره ببيت السيدة عائشة المفتوح بابه على المسجد، ولا يقال أن هذا كان خاصًا به ﷺ؛ فقد دفن معه (أبو بكر وعمر) رضى الله عنهما، وكان كبار الصحابة

أحيـاء، وتم كل هذا بإجماعـهم، وهم أعرف الناس بدين الله، فلم ينكر واحد منهم أن يدفن النبى ﷺ فى حجرة عائشة رضى الله عنها، وهى مفتوحة الباب على المسجد، ولا طلب أحدهم إغـلاق باب الحجرة التى بها هذه القـبور بعد دفن أحـد الصحابيين، واحـدًا بعد واحد، بجوار قـبر النبى ﷺ الملاصق تمامًـا للمسـجد، ولا أن ينقـل رفات (أبى بكر وعمـر) إلى مكان آخر، وإذن فقد أصـبح وجود قبر مـستقل فى جوار مـسجد (أى مسـجد فى أى مكان)، وللقبر باب على هذا المسجد، سنة صحابية إجماعية ثابتة. وقـد كان لبـيت النبى ﷺ باب إلى الـشمـال وباب إلى الغرب، وباب إلى المسجد يسمى (الخوخة).

بالإضافة إلى أنّ الأمر لا يشمله مفهوم النهى كما أسلفنا فى الحـديث، ويكون الحكم بغـيـر ذلك اتهام للـصحـابة بالجهل ومخالفة السنة، وهم أهلها وحراسها. وفى الحديث الصحيح: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليـها بالنواجذ» وتأمل قوله ﷺ: «عضوا عـيها بالنواجذ» !! .

٥- شئ من العقلانية أيها السادة :

١- قلنا: إن القبور والأضرحة تكون غالباً (حجرات أو مقاصـير)، في جوار المسجد، فلو فرضنا أن حجرة القبر بحائط المسجد كانت أمام المصلى. فهو يصلى إذن إلى حائط الحجرة لا إلى القبر، ولو فرضنا أنه كان يصلى داخل هذه الحجرة، فهو يصلى إلى (سترة)، وهذه السترة قد تكون السور الخشبي أو النحاسي حول الضريح، فهو لايصلى إلى القبر أيضا.

٢- ولو فرضنا أنه كان يصلى إلى القبر أو عليه مباشرة، فقد ارتكب على الأكثر مكروهاً لا تفسد به الصلاة فضلاً عن الاتهام بالشرك أو الكفر أو الزندقة والضلال إذا سلمنا بالكراهية جدلا.

٣- ونحن الآن بعد نحو ألف ونصف ألف من عمر الإسلام، فلم يعبد مسلم حجراً، ولا أشرك مسلم بربه وثناً، ولا سجد لغير الله من قبر أو مقبور.

وقد يخطئ بعض العامة آداب زيارة القبور والأضرحة (وهنا يجب أن نسمى الأشياء بأسمائها) فهذا يسمى خطأ

أو يسمى جهلاً، وقد يسمى ذنباً، ولكنه لا يسمى شركاً ولايسمى كفراً، إذا أردنا أن ننصف الدين والعلم والناس.

٦- الصلاة فى القبور و مذهب الإمام مالك:

ولقد أدرك الإمام مالك مفهوم الحديث كما قدمنا، بالإضافة إلى أن النهى معلّل بالخوف من الردة إلى عبادة الأوثان، وقد انتهى هذا الخوف بتأييد الله لدينه مع إجازة الصحابة دفن أبى بكر وعمر بنفس حجرة السيدة عائشة وفى جوار القبر الشريف، وباب الحجرة مفتوح على المسجد النبوى، مما نفى الخصوصية إطلاقاً.

ولا تزال السيدة عائشة تقضى مصالح بيتها وتتحرك فى مختلف الشئون بالحجرة الشريفة وبها القبور الشريفة الثلاثة، يزورها الناس، وإن كانت قد تحرزت بعد دفن عمر وأقامت ساتراً على القبور.

٧- معنى حديث المنع من الجلوس على القبر:

ومن هنا فسر الجمهور حديث منع الجلوس على القبر بمعنى جلوس التبول والتغوط أو قعود الاستهواء أو قعود المعصية، بل ذهب مالك إلى أكثر من ذلك رضى الله عنه

فقد نقل ابن القاسم فى «المدونة»، وغيره أن مالكًا كان يصلى والقبور بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقال ابن القاسم: قال مالك: بلغنى أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يصلون فى المقبرة، ولم ينكر عليه أحد من بقية التابعين أو أحد غيرهم من معاصريه، خصوصًا بعد ما جاء من أن الإمام علىّ كان يتوسد القبور وينام فوقها وغيره من الصحابة، وبعد ثبوت وصية أحد كبار الصحابة أن يبقى المشيعون عند قبره بعد دفنه مقدار ما تذبح الجزور وتوزع.

وحسبك أن مالكاً وكل من زار قبر رسول الله ﷺ من كبار الأئمة كانوا يصلون بالمسجد النبوى والقبر الملحق به.

٨- قبور الأنبياء فى المساجد الثلاثة :

إن الإجماع التاريخى على أن قبر إسماعيل عليه السلام موجود بالحطيم تحت جدار الكعبة المطهرة، مع قبور أخرى، فلو كان وجود القبر فى المسجد ممنوعاً على مفهوم هؤلاء القوم لما صح الخبر المشهور عن رسول الله ﷺ من أن الصلاة فى هذا المكان أفضل من كل مكان. ولكان رسول الله ﷺ أمر بنبش القبر أو نقل رفاته على الأقل.

مما يدل على أن علة النهى أصبحت لا وجود لها، وكذلك ثبت أن بالمسـجـد الأقـصى (وبه صلى النبى ﷺ فى الإسراء) عدة قـبور لعدد من الأنبياء (إبـراهيم وبنوه) فهذه هى المساجد الثـلاثة المشرفة وعليها تقاس بقـية المساجد، إذ لا خـصوصـية على الإطلاق، وفى أبى داود أن مـسجـد الخيف به عشرات من قبور الأنبياء والصالحين.

٩- الصلاة فى المسجد النبوى وبه القبر المبارك:

وهكذا أصبح الجدال فى هذا الجـانب (أى تحريم الصلاة فى المساجد التى ألحقت بجـوارها أضرحة) والجلوس عندها نوعًا من الهرطقـة والمراء المحرم شرعًا وعرفًـا وعقلاً ، مما ضـره أقـرب من نفـعـه، وإن اتخـذه بعض المتـمـسلفـة والمستغلقين، تجارة للثراء الخبيث.

وإلا فيـا ضيعـة ملايين الملايين من المسلمـين - ومنهم كبار علمـاء الأمة - الذين يصلون بالمسجد النبـوى، وقبره ﷺ فى ركن منه، ثم يا ضـيعة مـلايين الملايين الأخرى فى العالم الإسلامى كله، وهى تصلى فى مـساجد ألحقت بها قبور مقـصورة فى حجرات خاصة، كحجـرة قبر سيدنا

الرسول ﷺ فى مسجده العريق، وبخاصة بعد توسعته وتجميله وزخرفته بآخر ما وصلت إليه التكنولوچيا العالمية.

١٠ - مسألة القباب على المساجد والأضرحة:

أول ضريح بنيت عليه قبة فى الإسلام هى القبة التى بنتها أم الخليفة المنتصر العباسى فى القرن الثالث الهجرى بمدنية (سامرا) بالعراق.

وأول من بنى قبة على القبر النبوى (من طابقين) السلطان قايتباى عام ٨٨٦ بإشراف الأمير المصرى (سنقر الجمال)، ويقول بعض المؤرخين: إن أول من بنى قبة على القبر النبوى الملك المنصور بن قلاوون، قالوا: وجددها السلطان حسن بن قلاوون، ثم السلطان شعبان، ثم قايتباى، وقايتباى هو أول من عمّر الحجرة الشريفة، وأنشأ حولها السور المعدنى الجميل، وجدد المنائر، وعنى بالقبلة النبوية فى عمارته الكبرى بعد الحريق الثانى للمسجد الشريف، كل ذلك بأيدى (عمال مصر) الماهرين.

وأول من بنى سوراً (حديدياً) حول المسجد النبوى الأمير جمال الدين زنكى، ثم جاء الأمير الجعفرى وأنشأ سوراً حول المدينة كلها.

وأكبر قبة فى بلاد الإسلام الآن هى قبة (الإمام الشافعى محمد بن إدريس) بمصر، وقد بنتها أم (الملك الكامل الأيوبى) من الخشب والحديد الصلب على مساحة نحو أربعمائة متر مربع ، وقد دفنت (أم الملك الكامل) فى نفس القبة بجوار قبر الإمام الشافعى. رضى الله عنه.

هذا وقد أصبح أكثر مساجد الإسلام عددًا من القباب و(المآذن)[1] الآن مسجد سيدنا رسول الله ﷺ ، وهى قباب من الحديد الآلى تفتح وتغلق بالأجهزة الكهربية بحسب الظروف، ويزيد عددها عن عشرين قبة، ونحن نرى الآن بالطابق الثانى من البيت الحرام عدة قباب رائعة.

والقبة سقف حجرى غالبًا، وهو حديدى أو خشبى أحيانًا، يمتاز بالمتانة والتحمّل والقوة ومواجهة تقلبات الجو الطبيعية وغيرها ، ولكن بعض الناس ألبسها (لغرض معين) قداسة وهمية مزورة حتى هُدِم أكثرها فى الغزو الوهابى بالحجاز بخاصة، ولولا ظروف قاهرة حاكمة، لنجحت تدابير الجهل والحماقة وسوء الفهم فى محاولات

١- للمسجد النبوى الآن عشر مآذن بعد تجديد الملك فهد .

هدم (القبة الخضراء) التى جددها السلطان محمود خان على قبر النبى ﷺ فى القرن الهجرى الثالث عشر، ولا زالت ترمم وتجدد حتى أصبحت شعاراً على المسجد النبوى فى العالم كله.

وقد بنى الأمويون القبة على الصخرة المباركة بالشام والدنيا غاصة، ببقية من الصحابة والتابعين وأئمة الفقهاء والعلماء من أهل الفروع والقدوة، ولم يصل إلينا خبر واحد عن رجل واحد أنكر بناء القبة على الصخرة، ذلك أن القباب كانت معروفة فى عهد رسول الله ﷺ ثم لم يرد حديث فى شأنها يرفض أو يعتمد، فهى من المباحات، والأصل فى الأشياء الإباحة ما لم يرد عنها نهى، فلو كانت القباب ممنوعة لما حدث ذلك ولما رضى السلف الصالح بحق هذا البناء.

١١ - أعداء القباب :

وهناك الآن فى بعض بلاد العرب رجل مُبْتلى بصرع عقلى وغل نفسانى عنيف لا يزال يصرخ بأنه «لابد من هدم قبة النبى دون كل القباب»، ومشهور إنه من كبار

علماء الوهابية الممثلين للعداوة الجاهلية المؤرثة لليوم نحو النبي ﷺ وآله الكرام، وهؤلاء يسيئون إلى الدولة السعودية شر الإساءة فى كل بلاد الإسلام.

وقد امتلأت الآن مبانى أهل المدينة المنورة بصفة خاصة بمئات القباب تبنى فوق العمائر والمصالح والمحافل والمصانع والبيوت والمتاجر بكثرة كاثرة، لما لها من فوائد وتجميل محبب دون أى تقديس أو عبادة.

ولازالت القباب فى البلاد الأخرى تبنى على الفنادق والملاهى والمسارح والمواخير والمراقص والحانات ، فمن أين جاءتها القداسة والخوف عند المتمسلفة من أن يعبدها الناس من دون الله ؟ حتى لا يزال جنون الهدم والإبادة والتخريب يغزو العقول البدوية المستغلقة تحت رمال فقه النفط، وفى مفاهيم الثراء البترولى، وفى صحارى أوهام مزاعم الشرك التجارى والتوحيد الدولارى وتشكيلاته فى العالم الإسلامى.

إنهم يصدون عن السبيل، ويؤذون الخلق، ويبغضون عباد الله فى دين الله، ويعيشون فى معزل عن التطور

الإنسانى الغامر فى دنيا الله والناس، وهم يدعون إلى رجعة جاهلية بدوية أخطر على الإسلام والمسلمين من الكفر الصريح.

١٢ - عبيد الدنيا والدولار وخطرهم المحدق :

وإن لدولتهم شعارات دينية تنتحل اسم الهيئات السلفية ستاراً على ما تحمله من رسالة التخريب الفكرى ، والتفريق بين جماعة المسلمين ودولهم وأسرهم خصوصاً فى هذا الزمن الرهيب، فحيث ما تكون طائفة منهم تكون الفتن والخلافات وتمزيق العائلات ، وإشاعة الغل والحقد وسوء الظن والتخريب والإرهاب الدموى، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، مما يعانيه الوطن، وتزخر به القضايا فى المحاكم المختلفة؛ فكل هذا الانحراف الفكرى خارج من عباءة التمسلف ليس إلاّ.

وبهذا يصرفون الناس عن الهول الهائل، والدمار الرهيب المتعب المرعب الذى يحيط بالإسلام والمسلمين، سواء فى العقائد الأساسية أو الوطنية أو السياسية أو الاقتصادية، أو أسباب النهوض والقوة والحضارة،

والخلاص من رق العبودية الأجنبية التى تحاول أن تُبيد الإسلام وتستعبد المسلمين، أو غير ذلك من دواهى اليهود والأمريكان وبلاد أوربّا، والعلمانية العالمية الفاجرة الداعرة.

إن بعض هذه الهيئات المخربة تستر عوراتها أحيانًا بلفتات تافهة إلى بعض الخدمات الوطنية أو الإنسانية، أو المشاكل العامة، وتظن أنها بتسترها خلف هذه الغلالات المفضوحة تسخر من عقول الناس، ولكن الناس لم يعد يتخدعهم تكلف الزور وصناعة العمالة والبهتان، وإلاّ فمن أين تأتى هذه الأموال التى تصدر بها المطبوعات التى تباع بربع التكاليف، أو تبنى بها مساجد شتم المسلمين وتكفيرهم.. إلخ.. والله من وراء الكل محيط غالب على أمره.

١٣- مسألة البناء على القبور:

إن القائلين بتحريم البناء على القبور وهدم القباب، وتخريب الآثار الإسلامية يحتجون بحديث جابر عند مسلم «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، أو يقعد عليه أو يبنى عليه، وحديث أبى الهياج عند مسلم «ألا تدع تمثالاً

إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته، ثم بكلام ابن تيمية ومن تبعه لسبب أو لآخر.

وليس فهم ابن تيمية وابن القيم ومن والاهم فرض عين على كل مسلم، بل دين الله ملك لأهل القبلة جميعاً، يفهم كل قادر منهم نصوصه الفروعية - ومنها هذا الموضوع - بحسب اجتهاده، وقد بقيت الأمة قروناً سبعة تفهم فى هذا المعنى غير فهم ابن تيمية وابن القيم، ولهذا لم تقم هذه الفتنة من قبل، وكان فهم السلف قبل ابن تيمية - وفهمنا أيضاً - ملخصاً فيما يأتى، وهو الحق والعدل والحكمة والإنصاف والسماحة.

أولاً: إن رسول الله ﷺ أراد بهذا النهى، أن يقضى على الشرك الذى كان موجوداً بعبادة الأحجار وتأليه الموتى، كما فعل فى النهى عن زيارة القبور وقتئذ. حتى إذا اطمأن إلى استقرار الإيمان وثبوت التوحيد، أمر بزيارتها لانتفاء علة النهى، كذلك كان أمره بتسوية القبور وعدم البناء عليها، وذلك ما فهمه السلف. ولهذا لم تهدم الأبنية التى بنيت فى السبعماية عام الأولى من تاريخ

الإسلام سواء كانت على قبور الصحابة أو على قبور التابعين أو الخلفاء أو الأمراء أو الملوك، أو الصالحين فى جميع أقطار الإسلام.

ثانياً : من تحدث فى هذا الأمر من الأئمة الأربعة، فقد نظر إلى المعنى السابق، وأخذ بعضهم فى الوقت نفسه بالأحوط، فقال بكراهة هذه الأبنية (مجرد الكراهة) لمجرد التورع، وذلك فى حالات منها :

١- كونها فى الأرض المسبلة، لئلا يضيق على الناس.

٢- ألا يكون فى البناء على القبر فائدة للمسلمين فيكون عبثاً.

٣- أن يقصد بالبناية على القبر الزينة والخيلاء، وفى هذه الأحوال يكون البناء مكروهاً فقط، وهو المستفاد من أصول كتب المذاهب الأربعة، ومن نصوص أقوال الشافعى ومالك، وما عزى إلى أبى حنيفة وأحمد، فيراجع فى مكانه.

ثالثاً : ذكر القرآن فى معرض التقدير والتوجيه من قصة أهل الكهف : ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** ﴾ قال المفسرون : وقد اتخذ أهل الإيمان المسجد

عليهم بالفعل، ولو كان فى هذا ما حرم الله، ما جاء فى القرآن بهذه الصيغة - صيغة الإقرار والرضا - ولا هذه الصورة التى تفيد المنقبة والمشروعية بل القدوة.

رابعاً : يقرر علماء الحديث أن ترك العمل بالحديث قروناً، يصبح علة قادحة فيه، وأقل آثار القدح ألا يفهم على ظاهره، فالحديثان المذكوران وما فى معناهما معلولان بالترك، لانصراف فهمهما إلى ما هو أوفق وأرفق، أو ما يزيل الحرج مما عمت به البلوى، كلما جاز تطبيق هذه القواعد، كما هو ثابت فى علم الأصول.

خامساً : يقرر المغفور له العلامة الشيخ الكوثرى أن حديث أبى الهياج فى إسناده اختلاف مع عنعنة حبيب بن أبى ثابت، وكذلك حديث جابر فيه عنعنة أبى الزبير، ثم إن فى مستدرك الحاكم أن العمل ليس على هذه الأحاديث وأن قبور أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب تخالفه خلفاً عن سلف.

سادساً : يستخلص من هذا:

١- أن البناء على القبر منع فى صدر الإسلام خوف الشرك، وبانتفاء هذه العلة انتفى المعلول فيجوز البناء.

٢- يكره البناء على القبور فى الحالات الثلاث: حالة الأرض المسبلة لئلا يضيق على الناس. وحالة المراءاة بالبناء، وحالة عدم انتفاع المسلمين بما يبنى، فإذا كانت الأرض مملوكة، أو لم يقصد بالبناء الرياء، أو عاد على المسلمين نفع من البناء على القبر، كالمساجد والزوايا والمدارس والمشافى والملاجئ وغيرها، امتنعت الكراهة، لتحقق المصلحة.. ونحن ملزمون برأينا شرعاً حتى نستيقن الخطأ فيه، وليس كذلك إن شاء الله.

١٤- القبلة شىء غير المحراب:

انتشر - ولا يزال - رأى تمسلفى شاذ يقول: إن (القبلة) هى (المحراب) فوجودها فى المسجد الحرام بنص بعض الأحاديث التى ذكرها بعض المحدثين ومنهم الشيخ جلال الدين السيوطى، والشيخ السيوطى على جلالته وسمو منزلته العلمية وأهليته للإمامة قد وقع فى هذا الخطأ بحسن الظن، وهو ليس بالمعصوم، وإن كان قد رد عليه رداً علميًا وافيًا أخونا فى الله المحدث الثبت الشيخ (عبد الله الصديق الغمارى) رضى الله عنهما.. ثم إنه لم يكن قد أنشئت لعهد النبى ﷺ قبلة بصورتها الحالية، حتى ينصب عليها حكم الحلال والحرام.

على أن المسألة لا تتحمل كل هـذه اللجاجة فنحن أيضًا نحرم التـوجه إلى تلك (المحاريب) إن وجدت، كـما نحرم الخلط الجاهل بين القبلة والمحـراب بعد أن حكم القرآن فى القضية حكمه القاطع المانع الواضح الصريح الحاسم.

١٥- ما هى القلبة؟!:

القـبلة: تجـويف خـفـيف فى الحـائط يدل على اتجـاه المصلى، وعلى قداسة الجهة التى يتجه إليها، وذلك مأخوذ من أن النبى ﷺ فى بناء مسجد قباء ومسجد المدينة كان يحاول تمييـز القبلة (كما ثبت فى التاريخ) ببـعض الأحجار أو اللَّبِن أو جـذوع النخل ، فلم تكن هـندسة الأبنـية قـد بلغت مسـتواها الذى جعـل القبلة تجويفًـا خفيـفًا بدلاً من المحاولات البدائية الأخرى .

ثم تصور مـعى قوله تعـالى: ﴿واجعلوا بيوتـكم قبلة﴾ لا«محاريب» وقوله ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ .

١٦- فما هو المحراب؟!!

أما المحراب فهـو: حجرة صغيرة، لعلهـا ما تسمى عند بعض الأديان (قدس الأقداس) أو (المذبح). . إذن فهو بناء

مستقل كـان يقام بدور عبادة السابقين، وقـد وصفه القرآن فله باب منه الدخول والخروج ، وقال تعالى: ﴿كلما دخل عليـها زكـريا المحـراب﴾ وقال ﴿فـخـرج على قومـه من المحـراب﴾، فأين هذه الصـورة من القـبلة، وليس بالقـبلة دخول ولا خروج ولا أبواب.

وكانت مـريم تختلى وتنام فى «المحـراب» وعندها رزق الله؛ فلو كان كالـقبلة ما استطاعت الاعتـكاف ولا العبادة ولا الاختلاء ولا النوم ولا الاختفاء ومعها رزق الله. . فأين كانت إذن تضع حاجاتها أو تضع رزق الله لو كان المحراب كـالقـبلة؟! أى مـجـرد تجـويف سطحى لا يسـتـر حـتى الإمام؟!.

والله تعالـى يقول فى قـصة داود والخصم ﴿إذ تـسوروا المحـراب﴾ يعـنى أن المحـراب كـان له سـور، وهم قـد تسـوروه، أى: قـفـزوا من فـوق أسـواره ولم يدخلوا من بابه. . وإذن فـهو مكان فسـيح يصلح للتـقاضى وحـضور الخصوم، ومناقشة الأحكام. . فـيا للفرق الهائل بين القبلة والمحراب!! بعد كل هذا الذى جـاء فى القرآن من أوصاف لا تحتمل أى تأويل.

١٧ - عمر بن عبد العزيز والقبلة:

وإلى هنا يكون الأمر قد اتضح تمامًا ، يضاف إليه قوله تعالى ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ فسمى البيت الحرام (قبلة)؛ فالاتجاه إليه هو (استقبال) لا (استحراب)!! فضلا عن أن وجود القبلة بالمسجد أصبح ضرورة مؤكدة لما له من فوائد شتى للوافد والمقيم؛ فهى ضرورة مسجدية أشار إليها الرسول ﷺ بالجذع والمنبر وغيره، تعريفاً بالقبلة، وبهذا يكون التعريف بها بالصورة الحالية مشروعاً.

وأظن بعد هذا لا يكون من العدل أو الصواب لوم (عمر ابن عبد العزيز) على أنه أول من أوجد القبلة فى عمارة المسجد النبوى لعهد الوليد، ثم عمت بعدها جميع أقطار الإسلام، لحسن مناسبتها، وعدم مجافاتها لبسائط أحكام الإسلام؛ بل إنها قد تدخل استحبابًا أو استحسانًا فى بعض الأصول الفقهية العامة بلا تثريب، فمن شاء تركها ، ولكن لا يؤثم أو يخاصم من يعملها، وبخاصة بعد أن ارتضتها الأمة وفيها كبار علماء السلف والخلف إلاّ هؤلاء.

١٨ - المحافظة على صورة المسجد النبوى القديم:

أما السادة الأخوة الذين يقولون بالتزام صورة السنة فى المساجد، فقد تعين عليهم (وهو المعقول والمقبول والحق والعدل) أن يلبثوا مساجدهم كلها على الصورة النبوية من اللبن وجذوع النخل، مسقفًا بالجريد والخوص، مفروشًا بالتراب والحصى، فلا يفرش بالسجاد، ولا يضاء بالكهرباء، ولا تستعمل به الإذاعات، ولا يقام له دورات المياه، ولا توضع به (النتائج)، ولا ترتفع له طوابق ولا مآذن، ولا يبلط ولا يبيض.. إلخ.. إلخ.. حتى يكون صورة للمسجد النبوى.. أما أن يتمسكوا بشىء ويتركوا أشياء فليس هذا من الدين ولا السنة ولا من العدل المطلق ولا من معقولية الأشياء.

لقد استباح مانعو القبلة بناء المآذن المرتفعة المنمقة؛ فلماذا لا يقاس هذا على ذلك؟!.

وليس فى كل ما وصلنا من أحكام الفقه وأصوله، أن مما يفسد الصلاة، أن تكون فى مسجد له (قبلة مجوفة)، فالقول بهذا زيادة فى الأحكام لم تأت فى كتاب ولا سنة.

وإذا كانت صلاة المسلمين تصح فى الكنائس والصوامع والبيع على ما هى عليه، فكيف تفسد صلاتهم فى مسجد به قبلة مجوفة؟

وهكذا أضاع الانشغال بهذه التوافه الخلافية على المسلمين الاهتمام بما يهدد الإسلام، بما لم يخطر على بال، مما يعانيه المسلمون فى كل مكان، تجويعا، وحصارا، وقتلا، وذبحا، واغتصابًا، وتطريدًا وتشريدًا وتكفيرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. أفيقوا أيها الناس؟!.

١٩ - حكم زيارة القبور:

لم يختلف سلف ولا خلف على استحباب زيارة القبور، لما جاء صحيحًا فى الحث عليها بشروطها وترغيب زيارتها بقول وفعل النبى الحبيب ﷺ، وفى الحديث الثابت عنه ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ولا تقولوا هجرًا» (أى قول الجاهلية)، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة ومشهورة، وقد كان رسول الله ﷺ يزور أهل البقيع ويدعو لهم.

٣٠- زيارة النساء للقبور.

وقد أذن لفاطمة ابنته أن تزور وترم قبر عمها حمزة بسفح جبل أُحد، وثبت أن عائشة زوج رسول الله ﷺ كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن ، وقد علّم الرسول ﷺ عائشة رضى الله عنها كما جاء فى الصحاح ماذا تقول عند زيارتها للقبور، ورأى النبى ﷺ امرأة تبكى عند قبر، فقال لها: «اتقِ الله واصبرى» ، ولم يطردها، فمن منع من العلماء زيارة النساء للقبور فقد منعها من أجل ما يكون منهن من المخالفات والتجاوزات (التى يجب معالجتها) بالحسنى، لاستحالة منع النساء عن الزيارة خصوصًا فى هذه الأيام، أما منع النساء من اتباع الجنائز فمتفق عليه نهائيًا، لصحة حديثه ، ولتحقق مفاسده.

بل إن بعض الأئمة يرى أن زيارة النساء للقبور ألزم من زيارة الرجال لما توحيه من الصبر والفوائد المتعددة التى تشتد إليها حاجة النساء.

٢١- معلومات عن الزيارة:

والصحيح أن زيارة القبور جائزة فى كل وقت وكل يوم، غير أن بعض الأئمة يفضل الزيارة من عصر يوم

الخميس إلى فجر يوم السبت، لآثار وردت فى ذلك، أما الزيارة فى المواسم فهى عادة عند الناس فقط وليست بسنة، كما أنه لم يرد نهى عن الزيارة فى المواسم أو الأيام المباركة أو غيرها؛ فتكون مباحة إن شاء الله فى حدودها الشرعية.

وقد ألف بعض السلف فى نظام الزيارة كتبًا مباركة بينوا فيها بدء الزيارة ومسارها ونهايتها من قبر إلى قبر ، ومن مشهد إلى مشهد ، حين لم يكن بمصر إلا القرافة الكبرى والصغرى، غير أن الأمور قد اختلطت وتغيرت نهائيًا اليوم وتعددت (القرافات) وصحارى المدافن؛ فليبدأ الزائر من حيث شاء.

٢٢- سماع الموتى فى القبور:

جمهور أهل العلم والحديث والتفسير ـ كما رأيت على إثبات سماع الموتى، وهو قول ابن عبد البر وابن جرير وابن قتيبة وابن القيم وابن رجب ومن وليهم من كبار الأئمة والعلماء كالسيوطى وابن عبد الحق وابن أبى الدنيا وابن قدامة، فهو حقيقة مؤكدة سواء كان بالروح فقط أو بالروح مع الجسم.. وهو من فوائد زيارة القبور.

وهؤلاء الأبطال والقمم إذا قالوا، فلا يجوز أبدًا أن نسمع للدهماء والأدعياء وأصحاب الهوى والمغرضين والعملاء من عبيد الدرهم والدينار، الذين يتخذون الدين شعارًا على سياسة غاية فى الخطورة على الوطن والدين، وإن وقفوا بمشاركة الجمهور فى بعض الأمور. ﴿**ولتعلمن نبأه بعد حين**﴾.

٢٣- الممنوع فى الزيارة:

أمّا الممنوع فى الزيارة ، فأهمه ألا تطلب من المزور أن يفعل لك شيئًا أو يترك، فهو عبد ليس له من الأمر شىء، ولكن توسل به إلى الله فيما تطلب، فقد أمر الله أن نبتغى إليه الوسيلة بإطلاق. . سواء بالأعمال أو بالرجال، وسواء بالأحياء أو بالموتى فكل ذلك وارد ثابت، والتخصيص هنا نوع من التحكم المرفوض، راجع كتابنا (الإفهام والإفحام).

أما التبرك بمسح شىء من حجرة المزور أو تقبيلها، فقد ثبت أن عبد الله بن عمر وبعض الصحابة كانوا يتبركون بمسح رمانتى منبر النبى وغيرهما من آثاره ﷺ، وعندما

دعا عمر (بلالا) لزيارة المدينة جاء من الشام إلى قبر الرسول ﷺ فبكى وأبكى، وجعل يمسح خديه على عتبة حجرته ﷺ فى حضور كبار الصحابة، ولم ينكر عليه أحد، فالتمسح إذن جائز وخصوصًا للمغلوب على عاطفته، ثم إن الخروج من الخلاف بترك التمسح أولى. وحسبك التجاوب الروحى والتمسح القلبى ، والارتباط الغيبى بين الزائر والمزور.

٢٤- قول السلف فى التقبيل ونحوه :

ومع هذا فقد ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل فى (كتاب العلل) أنه سأل والده الإمام أحمد عن الرجل يقبل القبر رجاء الثواب، فقال أحمد (لا بأس به)، ونقل ابن زكرى فى الهمزية عن الطبرى، وابن أبى الضيف، جواز تقبيل قبور الصالحين رجاء البركة والثواب، ونقل الحافظ العراقى عن الحافظ العلائى أنه رأى فى جزء قديم عليه خط ابن ناصر، وغيره من الحفاظ أن أحمد بن حنبل أجاز تقبيل قبر النبى ﷺ وغيره، فالقول بكفر أو شرك فاعل ذلك خطأ غليظ، وجهل عريض، وكل ما ذهب إليه

متشـــددة العلماء كراهة ذلك فى ظروف خاصـــة، أما القول بالشـــرك والكفر فـــتعـــصب وجهل ووهابيـــة دولارية بدوية مـــستـــغلقـــة؛ ولا شك أن المخـــالفـــة عند ذلك ليـــست من دين الله.

٣٥- التبرك بالتمسح بقبور الصالحين:

قال الحافظ العراقى: أخبرنى الحـــافظ أبى سعيد العلائى قال: رأيت فى كـــلام ولد أحمـــد بن حنبل أن أحمـــد كان لا يمنع تقبيل قبر النبىّ ﷺ أو تقبيل قبر غيره.

وفى كتـــاب «العلل» لعبد الله بن أحمـــد، أن والده كان لا يرى بأسًا بتـــقبيل قبـــر النبى ﷺ ومسح منبره تبـــركًا. وهذا يحيى بن سعيد شـــيخ الإمام مالك عندما أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر النبوى فـــمسحه، ونقل ابن زكرى فى شـــرح همزيـــته عن المحب الطبـــرى وابن أبى الضـــيف وغيرهـــم جواز تقبيل قبور الصالحين.

ونحن هنا لا نجـــيز ذلك إلا للـــمغلوب على أمـــره كمـــا حدث مـــع بلال، أو للعالم الذى لا يخـــشى عليه الـــوقوع فيـــما لا يجـــوز أو نحو ذلك. أما الجـــاهل فيـــعذر ويعلَّم،

ولكن لا يرمى جزافًا بالشرك والكفر وعظائم الكبائر.

ولا نستطيع أن نحسن الظن بكل أدعيـاء السلفية بعد أن كررنا اختبارهم، فاسـتيقنا أن إبليس لا يعادل ظفر أحدهم لؤمًـا وخبـثًا ونفـاقًا وبذاءة ونذالة، فى الوطنيـة والديانة، والله من ورائهم محيط.

٢٦- واجبات الزيارة :

أمـا واجب الزيارة فـالخـشـوع والأدب، وتذكـر الموت والاحترام الباطنى، والعـبرة، والسلام على الميت، والدعاء له، والصدقة عليه، وقراءة الـقرآن عنده، وأن يصان القبر، وينظف مكـانه، ولا تتـرك زيارته أو ينســى أو يهـمل بلا عـذر، ثم إياك إياك أن يشغلك زخـرف الضريح وصـورته وزينته عن التـوجه القلبى التـام إلى روح المزور، بل اجعل هذه الزخارف وسـيلة وتمهيـدًا لما وراءها من أسرار الأرواح وفضل الزيارة، فـإن روح المزور معك مـدة زيارتك، فإنك تلقى عليـه السلام ويرد عليك ويعـرفك وينتفع بصـدقتك ودعائك وقراءتك له بالنص الثـابت من الآثار الصادقة؛ بل حاول التخلص من العلائق أو الحجب البشرية، عسى الله

أن يكرمك فيتجلى عليك فترى (المزور) بقلبك، وهو يستأنس بك، كما يستأنس الحى بالحى، وربما رأيت إذا غلبت عليك الحال، ما لا ينبغى أن يقال.. والله أعلم.

٢٧- شد الرحال إلى قبور الصالحين:

بعض الناس يمنع شد الرحال إلى زيارة مقابر الصالحين فى الأقاليم مثلاً؛ لحديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، والمرجو أن ترجع إلى شرحنا لهذا الحديث فى كتابنا (أصول الوصول)، أو شرحنا له فى آخر كتابنا (مراقد أهل البيت)، وهنا نقول عند التسليم بصحة الحديث أن الممنوع بالنص هو زيارة (المساجد) لا (القبور)، وحتى المساجد ففى منع شد الرحال إليها تفاصيل؛ فقد كان النبى ﷺ والصحابة يشدون الرحال من المدينة إلى (مسجد قباء)، وكان أبو هريرة راوى الحديث يشد الرحال إلى (الطور) للزيارة.

والخلاصة: أنه لم يرد منع صريح أو غير صريح عن السفر لزيارة القبور بشرطها الشرعى (وخصوصًا قبور الصالحين) أينما كانت.. والحمد لله.

٣٨- نقل الأحكام وشرك المؤمنين :

١- إن نقل أحكام الحلال والحرام، إلى أحكام الكفر والإيمان تحكم ليس من حق أحد، وهو كذلك لون من التعمية والتدليس العلمى، وقد وقع اتفاق الأمة على أن المسلم إن عمل عملاً أو قال قولاً يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً، ثم هو يحتمل الإيمان من وجه واحد فقد وجب الأخذ بهذا الوجه الإيمانى الوحيد.

٢- أما قوله تعالى ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ فالمراد إما أنهم منافقون يظهرون الإيمان ويخفون الشرك، وإما أنهم يجمعون مع الإيمان بالله الإيمان بما كانوا عليه من عبادة الأوثان، تلفيقاً بين الأمرين وانتفاعاً - فى رأيهم - بالناحيتين كما قال القرآن على ألسنتهم ﴿**إذ نسويكم برب العالمين**﴾ وليس كذلك أحد من المسلمين بحمد الله فلا يجوز إطلاقاً تطبيق آية نزلت فى أعداء الله على أوليائه، فذلك كما قال البخارى وغيره كان شأن الباطنية وأمثالهم ممن يستحلون دماء المسلمين ويلتمسون لذلك أدنى شبهة.

وأكرر أنه ليس من حق فرد ولا جماعة مهما بلغ شأنه أو شأنها أن تخرج مسلماً من حظيرة أهل القبلة بخطيئة أو معصية، حتى لو ارتكب الكبائر كلها، فهو معصوم العقيدة والدم بقول «لا إله إلا الله» كما ثبت فى صحيح الأحاديث، راجع كتابنا (أهل القبلة)، ثم إن (حق لا إله إلا الله) الذى جاء فى الاستثناء فى بعض روايات الحديث هو ألا يتعمد العبد أن يستحل محارم الله جحوداً أو محاربة لله، وذلك ـ بحمد الله ـ لم ولن يأتى من مسلم وإن زنى وإن سرق، بل وإن قتل، ونستغفر الله ونتوب إليه.

هذا.. وقد بشرنا رسول الله ﷺ أن أمته لن تشرك بالله شيئاً، فلن تعبد شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولكنها قد تقع فى الشرك الخفى، وهو الرياء... أفبعد كل هذا يقول قائل ببطلان أو تحريم الصلاة فى المساجد الملحقة بالقبور؟!.

٢٩- حكم إقامة موالد الصالحين:

هذه اللقاءات الكبرى التى تقودها الناس فى ذكريات آل البيت وأولياء الله الصالحين رضى الله عنهم لا ترفضها

سماحة الإسلام ولا الأصول الشرعية العامة ما دامت خالية مما نهى الله ورسوله عنه، وإذن فهى مشروعة بالنظر إلى الأسباب الآتية:

أولاً: ثبت بالإجماع أن النبى ﷺ كان يلازم صوم يوم الإثنين أسبوعياً فلما سئل عن السبب، قال: «هذا يوم (١) ولدت فيه (٢) وأنزل عليَّ فيه»، ولهذا كان يحتفل بالصيام لإحياء هذا اليوم أسبوعياً، فجاز لنا أن نحتفل بذكريات (١) الموالد، (٢) والمناسبات الشريفة، بما يحقق مصلحة الفرد والجماعة، والدين والوطن ولا يخالف عمومات الشرع الشريف.

ثانياً: ثبت أيضاً أنه ﷺ احتفل بيوم عاشوراء الذى نصر الله فيه موسى على فرعون فصام عاشوراء، وأذن بصيامه، فجاز لنا الاحتفال بالمناسبات الكريمة فى حدود المشروع ديناً ودنيا.

ثالثاً: كرم الله يوم الولادة ربانياً، فقال: ﴿**وسلام عليه يوم ولد**﴾ وكرمه على لسان البشرية فقال: ﴿**وسلام على يوم ولدت**﴾ وسجل الله تعالى قصة ميلاد عيسى وكفالة موسى مما يدل على أن فى ذكريات الميلاد ما يتعلق به من

العظات والعبر، مما يجب الاهتمام به والعكوف على بحثه والإفادة منه.

رابعاً: وقد وجه الله إلى إحياء ذكريات الصالحين عموماً، بما أمر به نبيه المصطفى ﷺ حيث يقول تعالى: ﴿**واذكر فى الكتاب مريم.. وموسى.. وإبراهيم.. وإسماعيل.. وإدريس**﴾، كما جاء فى سورة مريم، وأشار فى ذكر كل واحد منهم إلى بعض خصائصه للاعتبار والقدوة (ولا يكون التذكير إلا للغير فرداً أو جماعة).

خامساً: اهتم القرآن بالقصص، ولا يكون القصص إلا إلى الغير، فرداً أو جماعة على الأغلب فقال تعالى عن نفسه ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ فذكر من الأنبياء: يوسف ويونس وغيرهم، وذكر من الصالحين: مؤمن آل فرعون وأصحاب القرية والخضر ولقمان وذا القرنين، وغيرهم، وذكر من الصالحات: أم عيسى، وأم موسى وزوجة إبراهيم وزوجة فرعون وامرأة عمران وغيرهن، وذكر من الأشقياء: عاد وثمود وأصحاب الأخدود وأصحاب الرس وأصحاب الأيكة وإخوانهم.. ثم بين تعالى بعض فوائد القصص فقال: ﴿**كذلك نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**﴾، وأمر باتخاذ القصص

من وسائل الدعوة فقال ﴿**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾ وكل هؤلاء موتى، وفى هذا الأمر شمول عام تدخل فيه الموالد، وليس أفضل ولا أمثل لتحقيق كافة مقاصد ذلك من تجمعات موالد الأولياء والصالحين بلا جدال.

٣٠- خلاصة الحكم الشرعى :

ومن مجموع مفاهيم ذلك كله، وفى فُسْحَة القواعد والأصول والفروع والسماحة الإسلامية، وعدم وجود النهى عما فيه الخير والمصلحة، ومع قاعدة: «حيث كانت المنفعة فثم شرع الله»، وفى قبول الأمة لذلك بالرضا (بغض النظر عمن أحدثه) ومع استصحاب أن رسول الله ﷺ كان يغشى الأسواق والتجمعات ليعرض رسالته المقدسة، ثم ما يكون فى الموالد من القرآن والذكر والصدقة والقدوة والتعارف والتعاون، ورواج التجارات وحلق الوعظ ودروس العلم والقصص والتاريخ.. كل ذلك يجعل الموالد أسواق ثقافة وتجارة وتواصل ومحبة بما يكون من تبصير بحق الله وحق الناس، مما هو مطلوب شرعاً وعقلاً، وبخاصة أن الناس تأتى إلى الموالد بوازع ذاتى روحى،

يستحيل تصور تجمع مثله فى غير هذه المناسبات، مهما كان شأن الداعـى رسمياً أو شعـبيـاً، ولهذا يتـعين الاهتـمام بالتماسها وتنظيمها لتوجيه الجماهير، وإصلاح الأمور.

أما ما يكون فى الموالد من البدع والمناكر التعبدية الكثيرة المنسوبة زوراً وكـذباً إلى التصوف الإسلامى بالإضـافة إلى التفاخـر والتكاثر والدعاوى الباطلة فـهذه مسئوليـة الرياسة العليا للتصوف .

وأمـا ما يـكون فيـهـا من الملاهى والمراقص والمسـارح وألعاب القـمار والاخـتلاط المحرم ونحـوه، فكل ذلك من مـسئـولية الحكـومة التى تصـرح به، ولو منعـته لامـتنع، ولأصـبـحت الموالد من أفـضل المواسم النافـعـة للإسـلام والمسلمين فى الدنيا والدين.

وأخيراً، لابد من أن يؤخذ فى الاعـتبار أن إقامة الموالد مشـروعة بل مسـتحبـة فى ذاتها والحكم الفـقهى المؤصل، يقرر أنه : (لـيس كل ما لم يكن مـوجوداً فى عهـد النبى ﷺ فـهو حـرام) كمـا يزعم جـلاميـد البشـر، وسندة الانغلاق التمسلفى المدمر. والله أعلم.

أوائل المساجد

بناءً في الإسلام

أولاً: مسجد المدينة وقباء وغيرهما:

كان أول مسجد بنى فى الإسلام هو: (مسجد قباء)، وقد شارك النبى ﷺ فى بنائه بشخصه وحمل الأحجار، وعمل مع الرجال، وهو الذى حدد قبلته، وقد أقام النبى فى قباء أربعة عشر يومًا أثناء الهجرة قبل دخول المدينة المنورة، وكانت المدينة تسمى (يثرب) قبل دخوله ﷺ إليها، ضيفًا على بنى عمرو بن عوف.

ثم كان المسجد الثانى فى الإسلام: مسجده ﷺ بالمدينة، وقد شارك فيه ﷺ أيضًا بشخصه حملا وعملاً، ونشيداً مع الصحابة، ثم من بعده مسجد عمرو بن العاص بمصر، وهو أول مسجد بنى بأفريقيا، ثم مسجدا البصرة والكوفة.

وأول من جوف القبلة فى مسجد الرسول ﷺ: عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه، حينما كان والى المدينة فى

عهد الوليد ، ثم تبعه فى مصر قرة بن شريك فجوف قبلة مسجد عمرو بن العاص (الذى وقف على تحديد قبلته يوم بنائه نحو سبعين صحابيًا)، وذلك من دلائل اتخاذ إشارة تدل على القبلة، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة أو التابعين الذين أدركوا هذا العهد، فكان إجماعا صحابيا متجددًا .

ثانياً: أرض مسجد المدينة:

ولما دخل الرسول ﷺ المدينة قصد إلى دار (أبى أيوب الأنصارى) حتى بنى مسجده (فى مبرك ناقته)، وكان هذا المكان مهملا فاشتراه الرسول ﷺ من صاحبيه الأخوين اليتيمين (سَهْل وسُهَيْل) بعشرة دنانير ، وسوى أرضه، وبدأ بناءه، فجعل القبلة من (اللبن والحجارة) تمييزًا لها ، وكانت القبلة فى شمال المسجد نحو (بيت المقدس)، وكان اتساعه (٧٠ × ٦٠) ذراعاً .

ثالثاً : تحويل القبلة:

وبقى النبى ﷺ يصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، ثم أمره الله تعالى أن يتجه إلى الكعبة، وجاء

الوحى بهذا وهو يصلى الظهر فى مسجد (بنى سلمة) المعروف الآن باسم (مسجد القبلتين)، فصلى الرسول ﷺ الركعتين الأوليين إلى بيت المقدس، والركعتين الأخيرتين إلى الكعبة، وعاد من يومه فحول قبلة مسجده ﷺ إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس، وأصبح مكان القبلة الأولى موضعًا خاصًا (بأهل الصفة)، وكان أمر تحويل القبلة فى يوم الخامس عشر من شعبان فى السنة الثانية من الهجرة.

رابعًا: تجديد عمارة المسجد النبوى:

وقد تجددت عمارة المسجد النبوى مرات كثيرة منها عمارة (عثمان بن عفان)، الذى بنى الجدران بالحجر الملون، وجعل السقف بخشب الساج، وأعمدته من الحجارة المنقوشة، كما ذكره البخارى، فكان أول من جَمَّل وشيّد المسجد النبوى، وأصبح ذلك سنة صحابية عملية.

ومنها: عمارة الوليد بن عبد الملك حين كان عمر بن عبد العزيز واليًا على المدينة، وقد استعان الوليد بملك الروم فأرسل إليه ملك الروم ما يلزم من المهندسين والعمال، وأهداه مائة ألف مثقال ذهبًا، مع غرائب أقراص الفسيفساء

محمولة على أربعين جمــلاً، وكان بعض العمال من أقباط مصر الذين أحبوا الإسلام.

وقد بنى أقباط مصر مقدم المسجد الشريف، وبنى الروم بقيته، وزينوه أفخم الزينة الفنية بالرخام والفسيفساء ، وفى هذا التجديد أدخلت حــجرات زوجات الرسول ﷺ إلى ساحة المســجد، ومنها حجـرة السيدة عائشــة التى دفن بها الرسول ﷺ وصاحباه.

وجعلت فى أركان المسجد الأربعة أبراج (مآذن) للأذان، وبنى عمــر بن عبد العزيز (الـقبلة المجوفة) اســتناداً إلى ما كانت تتميز به القبلة من خصائص كالحجارة وجذوع النخل ليعرفها الناس فى أيام الرسول ﷺ ومن بعده.

خامساً : بعض التجديدات والتوسعات:

ثم توالت التجديدات والتوسعات؛ فكان من الدور التى أدخلت فى المسجـد النبوى أثناء التوسعــات والتجديدات: دار أبى بكر وعمر والعباس، وبيت فاطمة، وبيوت أمهات المؤمنين، ودار خــالد بن الوليــد، ودار الحسن العــسكرى، ودار مــروان بن الحكم، ودار حفــيــدة ابن عبــاس؛ ثم دار

الوزير جمال الدين الأصفهانى، ودار بنت السفاح، وآخرين.

وكان من أعظم وأفخم التجديدات: عمارة السلطان الأشرف قايتباى للمسجد النبوى، والعمال المصريين الذين جعلوا من كل أجزاء مسجد الرسول ﷺ تحفة نادرة.

سادسا: أعمدة ذات تاريخ بالروضة:

فى الروضة الشريفة عدد من الأسطوانات (الأعمدة) لها تاريخ وخصائص منها:

١- الأسطوانة المشهورة باسم (المُحَلَّقة) بضم الميم وفتح الحاء، وتشديد اللام مع الفتح). وهى التى كان يصلى إليها رسول الله ﷺ، وهى الثالثة من القبر الشريف والخامسة من الرحبة (صحن المسجد المكشوف) اليوم.

وهى متوسطة فى الروضة ويسميها بعضهم (أسطوانة عائشة) لكثرة صلاتها إليها حين يخلو المسجد من الرجال.

٢- أسطوانة (التوبة) وهى التى ربط نفسه فيها أبو لبابة

الأنصارى تائباً، وكان رسول الله ﷺ يصلى إليها أكثر النوافل، ويلتقى بالناس فى جدارها، وكان يعتكف عندها.

قال المراغى: وهى الثانية من القبر الشريف والثالثة من القبلة، والخامسة من الرحبة.

٣- أسطوانة أمير المؤمنين علىّ، وكان يجلس إليها مما يلى الباب ليحرس النبى ﷺ. ولهذا سميت (أسطوانة الحارس)، وكانت مقابلة لباب بيت عائشة المسمى الخوخة على المسجد.

٤- وفى شمال هذه الأسطوانة مما يلى الرحبة أسطوانة (الوفود)، وهى التى كان الرسول ﷺ يلتقى عندها بالوفود والضيوف، وكانت مجلس كبار الصحابة وأشراف العرب.

٥- فى الصحيحين عن عبد الله بن زيد، قال رسول الله ﷺ: «ما بين (بيتى) ومنبرى روضة من رياض الجنة»، وجاء فى رواية أبى هريرة: «ومنبرى على حوضى».

وفيهما عن جابر «ما بين (حجرتى) إلى منبرى روضة من رياض الجنة وإن منبرى على ترعة من ترع الجنة».

وهناك فى روايات أخرى: «ما بين (قبرى) ومنبرى روضة من رياض الجنة»، وفيه كلام، والله أعلم.

سابعا: اليهود والحريق الأول للمسجد النبوى:

وفى عام (٦٤٥هـ) - فى خلافة المستعصم - احترق المسجد النبوى بتدبير اليهود عندما أخفقوا فى حفر النفق الأرضى، (وقصته مسجلة بالتواريخ ليسرقوا رفاته الشريف ﷺ) فسكتوا حتى سنحت لهم الفرصة فاستغلوا سذاجة حارس المسجد وتقربوا إليه كمسلمين كرام، حتى استأمنهم فأوقدوها ناراً لم يسلم منها إلاّ مبنى التحف والذخائر، وفى سنة (٨٨٦ هـ) أعاد اليهود حريق المسجد النبوى بوسائل غاية فى الدهاء، مستغلين بساطة الناس وسذاجتهم البدوية، وبكل الوسائل أحرقوا المسجد للمرة الثانية؛ وأذاعوا كذبًا أنها صاعقة سماوية، والمؤسف المحزن بحق أن بعض المؤرخين صدق هذا الكذب المفضوح وقال: إنها صاعقة - كما قال اليهود، وغاب عن فكره مكر اليهود، وما وراء ذلك مما لا يغيب عن البال من تاريخهم من خيبر إلى فلسطين.

ثامناً : مصر وتجديد المسجد النبوى :

عندما وصل خبر الحـريق الأول قام من مصر (السلطان عز الدين أيبك التركمانى الصالحى) وكبار المصريين وبعض ملوك المسلمين ـ لانشـغال الخليفة المعتـصم ـ بمحاولة إعادة تشييد المسجد النبوى الشريف بما هو أفضل وأعظم، وبقيت العـمارة ست سنوات، حـتى جـاء الملك الظاهر بيبـرس؛ فأكمل التجديد على أحـسن الوجوه.. وكان قد شارك فى كل ذلك الملـك المصـرى النـاصـر ابن قـلاوون، والملك الأشرف برسباى، والمـلك الظاهر جقمق، والملك السلطان قايتباى؛ بكل اهتمام.

أما فى الحـريق الثانى فقـد قام بتـجديد المسجـد النبوى السلطان قـايتباى (ملك مـصر) العظيم، فـبذل فى سـبيل تشييـد وتجديد المسجد كل طوقه، وأنفـق ما يزيد على مائة ألف دينار ذهبًـا؛ حـتى أعـاد إلى المسـجـد بهـاءه وزواءه وجلاله، ثم بعد تشيـيد المسجد أهداه مصحفًا عـجيبًا بخط كبار الخطاطين بمصر، وقـد حمل هذا المصحف الفريد إلى المدينة (جمل قوى) لكبره وفخامته .

وبقى تجديد قايتباى أكثر من أربعة قرون ، وفى القرن الثالث عشر الهجرى أنشأ السلطان محمود خان العثمانى القبة الخضراء الشهيرة، والتى أصبحت علمًا تاريخيًا عالميًا على المسجد النبوى الشريف.

تاسعًا: ملوك المسلمين والمسجد النبوى:

وتداول ملوك الإسلام والخلفاء والوجهاء العناية بالمسجد النبوى تشييدًا وصيانة وتجديدًا مع إهدائه غرائب وعجائب الكتب وأعظم وأندر الهدايا والتحف، التى لا تُقَدَّر بمال ولا يوجد لها نظير فى العالم إطلاقًا، مما ضاع وتبدد فى أثناء الغزو الوهابى للحجاز، ثم كانت الدولة السعودية، فقام الملك فهد بن عبد العزيز فى عصرنا هذا بتجديد المسجد وتوسعته والاهتمام البالغ به، مما لم يسبقه إليه أحد قط حتى ليمكن اعتبار المسجد النبوى الآن من عجائب الآثار الإسلامية بالدنيا كلها.

عاشراً: أحاديث نبوية حول مسجد الرسول والمدينة:

١- فى صحيح مسلم: «صلاة فى مسجدى هذا ، خير من ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام».

٢- فى حديث سهل: كان رسول الله ﷺ إذا سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى، قال: «هو مسجدى».

٣- فى مسند أحمد: «من صلى فى مسجدى أربعين صلاة، لا تفوته صلاة، كتبت له براءة من النار».

٤- وفى الصحيحين قال ﷺ: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة»، وزاد أبو هريرة «ومنبرى على حوضى».

٥- وفى صحيح مسلم: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإنى حرمت المدينة، حراماً ما بين مأزَمَيْها، ألا يهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف، اللهم بارك لنا فى مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين».

٦- وفى الأثر: «لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذَوْب الرصاص».

٧- وفى سنن ابن ماجه: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم، وبيعكم وشراءكم، وخصوماتكم ورفع

أصواتكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجمّروها فى الجمع (أى بخروها).

ملاحظة: يجوز النوم فى أحد أركان المسجد، كما كان شأن أهل الصفة، ثم لما صح عن ابن عمر أنه كان كثير النوم فى المسجد.

أخيراً : رجاء وأمنية فى الله :

ولقد تمنينا وقد وفق الله هذا الملك لهذا العمل العظيم، رغم ما هو معروف مما عاناه من بداوة الاستغلاق الفكرى والتعصب الجاهلى، من كهنة التشريك والتكفير العالمى، بعد أن كادت أنِ تشمل مساحة المسجد الآن مساحة المدينة القديمة (يثرب).

تمنينا لوجه الله وللتاريخ وللحضارة لو أنه يأمر بأن يكتب على بعض لوحات الرخام ببعض أركان المسجد أسماء بيوت الصحابة والأماكن والطرق القديمة ذات التاريخ الكريم ، ليعرف الناس ولو أسماء الرجال والشباب من السلف، وتطور حركة التحول التى أدخلت بيوتهم وأحياءهم، ضمن هذا العمل الجليل الخالد إن شاء الله .

وفى ذلك ما فيه من خدمة التاريخ والثقافة والحضارة والإسلام والعالم والعلم والدولة، وحتى لا يتكرر مع الأسف ما أصاب ويصيب مكان ولادة النبى ﷺ وبيوت كبار الصحابة من الرعيل الأول، وما توحيه من عظم المعانى وجليل الآثار.

وإذا كانت الدولة الآن بحمد الله بدأت تتحرر من أغلال الجمود والركود والجحود، فاهتمت بآثار السلف على اختلاف الدين والعقيدة وغيرهما ، فليس بغريب أن نطلب منها ما يزيدها رفعة فى عيون أهل القبلة، مهما اختلفت المذاهب والسياسات، ووجهات النظر... والله الموفق المستعان.

ملحق وتذييل:

وقد كنا فى حل من تَتَبُّع النفخ فى النار، وشغل الناس بهذه الفرعيات التوافه، وهؤلاء الفتانون قد عموا وصموا عما يجرى بين العروبة وما يعانيه الإسلام من أبنائه ومن أعدائه.

كما عموا عن هذا الهول الهائل والخطر الداهم المتمثل

فى العلمانية واللادينية والانحلالية (والخنفسة والهيبزة) والتهتك والانحراف العقدى العام، ومخاطر السينما والمسرح والتليفزيون، والتجمعات الشبابية وغيرها؛ مما يتهدد أصول الإسلام وتاريخه وحضارته، بل يتهدد كيانه وبقاءه، كل ذلك لا يهم هؤلاء الفتانين. إنما يهمهم أن يلبسوا على الناس دينهم، وأن يقفوا بأبواب المساجد ليسبوا الداخلين إليها. ويمنعوا القاصدين نحوها باسم البدع الموهومة والشرك المصطنع، وهم بذلك يمكنون لخصوم هذا الدين من مصارعته فى جو الغفلة والجمود والرجعية التى تعهدونها فى الناس.

فما نرى منهم غضبة لفجور يؤتى، ولا دفعاً لغارة داعرة، مما نرى ونسمع ونحس هنا وهناك، ولا رأينا منهم نقداً للترف الوقح والإقطاعية الآثمة والشهوات والنزوات المجنونة التى يخب ويضع فيها أئمتهم وسادتهم من أدعياء السلفية وأدعياء حراسة الدين ومقدساته.

فمثلاً تزلزل الأرض زلزالها لبناء قبة على قبر، ولا تزلزل لبناء قصر به مائة حجرة للمحاظى والسرارى،

وتخرج الأرض أثقالها إذا زار مسلم ضريح ولى، ولا تخرج أثقالها وآلهتهم يزورون أقبح الكباريهات، وأفجر (علب الليل) بالهرم وإيطاليا وفرنسا وبيروت، ويستحل دم المسلم الذى يتوسل إلى الله بأحبابه ثم يعصم دم المتوسل بالكفرة والمعتصم بالاستعمار والمتآمر على العروبة والإسلام.

أيها الناس: قليلاً من الحياء. إن لم يكن قليل من العقل والإنصاف؟!.

وبعد: فالحق قررنا، ومن استغنى، فالله عنه أغنى.

ونحن نكتب هذا لا أملاً فى عودة هؤلاء إلى الرشد، وابتغاء وجه الله.. فهم كما يقول تعالى ﴿**ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ...... بل نحن قوم مسحورون**﴾.

إنما نكتب وقاية وتذكيراً وتبصيراً لمن لم يضر بهم هذا الوباء الرهيب.

ابتهال وختام:

اللهم إنى كتبت هذا بكل ما فى نفسى من صدق وإخلاص وحب للإسلام والمسلمين رجاء التقريب بينهم،

والتوفيق بين مذاهبهم وآرائهم، ورجاء صرفهم إلى ما هو أجدى وأهدى وأجدر وأخطر، من شئون الإسلام والمسلمين.

وفى ليل هذه الفتن المظلمة، والفواجع المتراكمة، وحين لم يبق أحد من الدعاة فيما أعرف يقوى على الصراحة فى مثل هذه الكتابة وموضوعاتها الشائكة (خوفًا أو طمعًا أو نحو ذلك)؛ فإنى أُسَجِّل هذا شفاعة إليك، ورغبة فى عفوك ومغفرتك، وسترك وتأييدك، رجاءً مكررًا محررًا فى رضاك وحسن الخاتمة، وأنت الحسيب والرقيب، فتقبلها منى بفضلك إيمانًا واحتسابًا.

اللهم إنى أسألك حسن الجزاء لكل من أحسن الظن بى فنقل عنى من أهل عصرى فى هذه الموضوعات وغيرها ما ينفع المسلمين تبصيرًا أو تذكيرًا، فتلك نعمة لا أحصى عليك سبحانك ثناءً فيها، ولا فى غيرها.. يا رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وأمته إلى يوم القيامة



المساجد والقبور
وملحقات أخرى

(١)

اتخاذ القبور مساجد مفصل بحديث «اللهم لا تجعل قبرى وثنًا يعبد» فيكون معنى اتخاذ القبور مساجد أى يسجد الناس للقبر، ويشرح ذلك حديث البزار عن أبى سعيد، وحديث ابن سعد فى الطبقات وهو (صحيح الإسناد) عن معين عن مالك بن أنس، وحديث ابن أبى شيبة عن أبى خالد الأحمر كما رواه عبد الرزاق عن معمر.

(٢)

ثم إن اللعن فى حديث المساجد ذات التصاوير عائد على التصاوير لا على المسجد ، وقد بوب البخارى فى صحيحه للصلاة فى (البيعة) وهى الكنيسة الصغرى، كالزاوية بالنسبة للمسجد فى الإسلام، أو هى معبد اليهود.

قال البيضاوى فى تفسيره: فأما من اتخذ مسجدًا فى جوار قبر رجل صالح، وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه. فلا يدخل فى ذلك الوعيد.

(٣)

قال صاحب (إعلام الراكع والساجد) بعد أن حقق أن الصلاة عند القبور صحيحة، غير أنها مكروهة عند بعضهم فقط: ما نصه:

إن بناء المسجد على القبر ، ليس فى تحريمه حديث (صريح صحيح) وحديث «أولئك شرار الخلق» الإشارة فيه إلى من نحت التماثيل وعبدها فى المعابد، لا إلى بناء ذات المسجد، أ هـ فتأمل.

أما حديث (لعن اليهود) فقد أوقف العمل به بعض كبار علماء الحديث لوجود ما يعارضه من القرآن والتاريخ ، ويراجع كتاب المحدث الغمارى (إعلام الراكع والساجد) فى ذلك.

(٤)

ذكر ابن سعد فى (الطبقات) أنه لما مات رسول الله ﷺ اختلف الصحابة فى مكان دفنه فمنهم من رأى أن يدفن عند المنبر ، أو حيث كان يؤم الناس فى الصلاة، أو

غير ذلك من الأمكنة فى داخل المسجد النبوى، فلو كان دفن ميت فى مسجد ممنوعًا شرعاً (على مفهوم المتمسلفة) ما اقترح الصحابة ذلك، وهم أعلم الناس بدين الله .

وهكذا لم يأت فى خبر صحيح أو ضعيف أن أحدًا من الصحابة أو التابعين اعترض على إدخال الحجرة النبوية فى مسجد الرسول ﷺ حين كان عمر بن عبد العزيز واليًا على المدينة، ولا جاء عن كبار علماء هذا العصر والتابعين ما يفيد ذلك بالطريق العلمى الصحيح.

(٥)

واستمر الأمر على الرضا والسعادة لوجود القبر النبوى فى المسجد الشريف قرونًا لم يعرف فيها اعتراض لعالم مسلم (لا محدث ولا فقيه ولا متكلم) على ذلك، وبقى جمهور المسلمين ، على هذا حتى الآن، هذا لأن ذلك إنما هو سنة صحابية إجماعية ثابتة ، كما أنه أصبح إجماعا يقينيا مكررًا مقررًا من الأمة - جيلا بعد جيل، وقرنًا بعد قرن - فى ظل قوله ﷺ إن أمته لا تجتمع على ضلالة.

(٦)

ثم تأمل قوله ﷺ فى رواية جابر عند ابن عساكر

وجماعة «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة» وإن كان فى روايات أخرى لفظ (بيتى) بدلا من (قبرى) وحديث (قبرى) رواه الخطيب فى (الموضح) وأبو نعيم فى (الحلية)، وللحديث طرق أخرى عن أبى سعيد الخدرى، وأم سلمة، وجابر، وعمر بن الخطاب، وأبى هريرة.

(٧)

قال الحافظ وتبعه الهيثمى فى كثير من طرق هذا الحديث: إن رجالها ثقات.. نقول: ولا تعارض بين رواية (قبرى) ورواية (منبرى) كلاهما فيما ترجح من المنطوق النبوى مع اختلاف المجالس والأسباب والمناسبات، فهو الآن فيما ترى معجزة له ﷺ بعد وفاته لا يعقلها إلا العالمون.

(٨)

فى قصة أبى بصير الثقفى وأبى جندل ابن سهيل، أنه لما مات أبو بصير (بسيف البحر يعنى شاطئه) بعد انفلاته من الحديبية، دفنه هناك أبو جندل ومن معه من الصحابة، وبنوا على قبره مسجداً، فكان أول مسجد بنى على قبر

فى الإسلام فى عهد النبى ﷺ. . رواه ابن إسحق فى (السيرة) وأبو موسى فى (المغازى)، وكان مالك يأمر بالأخذ بمغازى أبى موسى لصلاح مؤلفها، وكان ابن معين يعتبرها أصح المغازى.

ولم يأت أن النبى ﷺ أو أحد الصحابة أنكره، وقد نصّ البيهقى وابن عبد البر وابن حجر على أن حديث النهى عن الصلاة على القبور للكراهة فقط لقوله ﷺ: «جعلت لى الأرض مسجدًا وطهورا»، وفى رواية عن ابن عبد البر أنه رجح عدم الكراهة لانعدام السبب. . فتأمل!!

(٩)

نص **السادة الحنفية** على أن من صلى وكان القبر خلفه صحت صلاته بلا كراهة.

وقال المالكية: إن الصلاة فى المقبرة جائزة، إذا خلت من النجاسة بلا كراهة.

وعند **الحنابلة**: إن منْ صلى إلى القبور فمكروه فقط إذا كانت أكثر من ثلاثة، وإلا فهى صحيحة بلا كراهة.

وروى ابن القاسم أن (مالكًا) كان يصلى فى المقبرة والقبور عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه. .

قلنا: يعنى لانتفاء سبب الكراهة ونحوها، بثبوت التوحيد، واليقين بالوحدانية، فى قلوب الجميع.

(١٠)

ترجم البخارى فى صحيحه، لحديث الفضة فقال (باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور)[1] فالأمر عنده لا يتجاوز الكراهة حين تبنى جدران وأساطين المساجد على صميم القبور فتحتويها ، فكيف بها وهى بعيدة عنها (مقصورة فى بناء خاص) وترجم الترمذى أيضًا بكراهة ذلك. . نقول: وحكم الكراهة هنا جميعًا للاحتياط مما هو مفهوم من توارد جوانب الموضوع، والله أعلم.

نقل الحافظ عن البيضاوى رضى الله عنهما أن اتخاذ القبور فى جوار المساجد لا يشمله النهى ، لأن النهى وارد فى عبادة المقبورين لا لزيارتهم.

---

(١) قال الحافظ فى (هدى السارى) مقدمة (فتح البارى) ما نصه: ويؤخذ فقه الإمام البخارى من تراجمه... فقوله هنا «باب ما يكره... إلخ» يدل على حمه الفقهى فى هذا الأمر، ألا وهو الكراهة.

التوسل بالصالحين من الموتى

تمهيد :

برغم أننا أفردنا لهذا الموضوع رسالة علمية متكاملة ، طبعت عدة مرات، هى رسالة (الإفهام والإفحام) أو (قضايا الوسيلة والقبور)، فإننا هنا نجمل أهم جوانب هذا الموضوع لارتباطه الوثيق بأهداف هذه الرسالة: فى فوائد مختصرة مفيدة إن شاء الله كل الإفادة.. نفصل ذلك إيمانًا واحتسابًا وأداء لواجب العلم والدعوة، ثم من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر ﴿**وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم**﴾ والله المستعان.

فائدة (١):

أخرج البيهقى فى دلائل النبوة بسند صحيح كما قرره الحافظ فى الفتح أن الصحابى (بلال بن الحارث المُزَنى) أتى قبر الرسول ﷺ عام الرمادة ، (فى عهد عمر) فقال: «يا رسول الله، استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا»، وبلغ ذلك عمر، فلم ينكر على الصحابى قولته هذه ، لا هو ولا غيره من كبار الصحابة، وهم أعلم الناس بدين

الله، وهم يومئذ كثير كثير، ولم يقولوا لبلال ﴿وما أنت بمسمع من فى القبور﴾.. فتأمل؛ فإن معناه أن من فى القبور يسمع، وأن الله قد يكرمه بشفاعته فى غيره.

فائدة (٢):

كانت لرجل حاجة عند عثمان بن عفان تعثر قضاءها فعلمه ابن حنيف دعاء (الضرير) ومنه قوله (يا محمد يا رسول الله) إنى أتوسل بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى لى، وكان ﷺ قد توفى فدعا الرجل بهذا الدعاء، وذهب إلى عثمان فقضى حاجته المعثرة أو المتعسرة، ولم ينكر أحد من الصحابة على ابن حنيف ولا على صاحب الحاجة ما فعل، والحديث صحيح من رواية الترمذى وغيره؛ بل صححه ابن تيمية.

فائدة (٣):

وذكر الحافظ الثقة (ابن أبجر) وهو من رجال مسلم والنسائى والترمذى وأبى داود (وكان طبيبًا ماهرًا لا يأخذ أجرًا على الطب) أن رجلاً جاءه مريضًا بمرض لا يرجى منه شفاء، فدعا الرجل بدعاء (الضرير) السابق ذكره (وهو

توسل إلى الله برسوله ﷺ بعد وفاته ﷺ) فلم يلبث أن شفاه الله»، وفى الآثار تجارب شتى كهذه .

فائدة (٤) :

التوسل إلى الله بجاه فلان أو بركته أو حبه لله وحب الله له أو نحو ذلك ، هو قطعًا غير الإقسام على الله بفلان مثلاً؛ فالأول مشروع عند أهل الحق، والثانى يكاد يكون ممنوعًا عند بعضهم لأسباب علمية وتفاصيل مختلف عليها. شأن كل الفروعيات المختلف عليها.

فائدة (٥) :

المسلم المتوسل إلى الله بفلان على إطلاقه، لا يتوسل بهيكله ولا بلحمه وصورته، وإلا فإن الفيل والثور أعظم هيكلاً من الإنسان، ولكنه يتوسل بما أكرمه الله تعالى به من المحبة والقرب والبركة والجاه؛ فهو متوسل فى الواقع بصفة من صفات الله التى يمنحها الله لخواصه، والتوسل بصفات الله جائز إجماعًا، فإن أخطأ المتوسل التعبير فلا شك أن المعنى الصحيح مفروش ومستقر فى قلبه مركوز فى نفسه، فعلينا أن نعلمه، لا أن نكفره ونرميه جزافًا بالشرك العظيم «إنما الأعمال بالنيات».

فائــدة (٦) :

قصر بعضهم - من الغلاة المتمسلفة - معنى آية ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك**﴾ على حياته ﷺ فقط، وهذا القصر أو التخصيص التعصبى يحتاج إلى دليل علمى صريح وهو غير موجود هنا إطلاقًا؛ بل إن العموم هو الثابت، من وقوع الفعل فى سياق الشرط كما قرره علماء الأصول جميعًا، لأن الفعل هنا فى معنى الفكرة، وهى هنا تستوجب العموم وعلى الجاهل أن يتعلم أو يصمت، وعليه يحمل حديث ابن كثير فى تفسيره الذى أخرجه البيهقى فى (الشعب)، والسخاوى فى (القول البديع)، وابن الجوزى فى (المثير) وابن عساكر فى (التاريخ) من قصة الأعرابى الذى جاء إلى القبر وساكنه ﷺ بمفهومه من هذه الآية، وهو المفهوم العلمى والفكرى الصحيح، ووافقه عليه كل علماء عصره ومن بعدهم .

فائــدة (٧):

عدم فعل الصحابة لشىء لا يدل على تحريمه كما قرر علماء الفقه والأصول، وأقره العقل والفعل لاحتمال الشىء

المتروك عـدة وجوه وأسبـاب، ومتى دخل الاحتـمال بطل الاستدلال.

والترك إن لم تصحبه حجة على تحريمه، لا يكون حجة قط؛ بل قد يفيد مشروعـية هذا الفعل ، ويتضح ذلك مثلاً في أن صلاة الجمعة لعهد النبى ﷺ ومن بعده كانت فى مسجد واحـد لا يتعدد، ثم تعددت صلاة الجمـعة فى أكثر من مسـجد، مع أن ذلك كـان متـروكًا لمبرراتـه من قبل، فليس كل ما تركـه الصحابة يكـون من الممنوع بله المحرم، وإلا فكل شئـون حياتنا الـيوم حرام!! وهو كـلام لا يقبله عاقل ولا حتى مجنون.

فائـــدة (٨):

وقـد نقل صاحب (الرد المحكم) أن الـشيخ ابن تيـمية سُئِلَ فأجـاب بتطويل جاء فيه ما نصه (وأمـا القسم الثالث وهو أن يقول: اللهم بجـاه فلان أو ببركة فـلان أو بحرمة فلان عندك افعل بى كذا وكذا فهـذا يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحـد من الصحـابة والتابعـين.. إلخ)، وقد تأكـد فيمـا أسلفنا علميًا وعـقليًا أن كل مـا لم يفعله الصحابة والسلف لا يكون حرامًـا، لا عقلاً ولا نقلاً، إنما

هو من المباح المشروع المحكوم بالمصلحة الشرعية فى قوانينها الأصولية عند أهل العلم.

فائـــدة (٩):

فى سنن ابن ماجة: قال ﷺ: «اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاى هذا إليك.. إلخ». والله قد جعل تفضلاً منه على نفسه حقًّا بل حقوقًا تعددت بها الآيات من نحو ﴿ **وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين**﴾ ونحو ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ ونحو ﴿**كان على ربك وعداً مفعولا**﴾، وفى هذه الآيات ونحوها يدخل الدعاء بالجاه والحرمة والحق الذى منحه الله عباده فهو من المشروع المؤصل كتابًا وسنة، وإن كان لم يصلنا عمل الصحابة به، فليس كل عمل الصحابة قد أتانا وعرفناه كله قطعاً، وحتى مع الترك فلا يحرم المتروك إلا بنص حاسم كما قدمنا .

فائـــدة (١٠):

وقد توسل الإمام أحمد بن حنبل بالنبى ﷺ فى قبره كما قرره صريحًا فى (منسكه) برواية المروزى (مما أدهش الشيخ ابن تيمية) .

وروى الدارمى فى (السنن) بسند لا بأس به أن أهل المدينة قحطوا قحطًا شديدًا ففزعوا إلى عائشة فأمرتهم أن يأتوأ قبر النبى فيجعلوا منه كوى (أى فتحات فى السقف) إلى السماء - استشفاعًا إلى الله - ففعلوا فأمطرهم الله حتى سمى هذا العام عام (الفتق) للخير الذى عم وشمل الناس والحيوان ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة على الإطلاق .

فائدة (١١):

ذكر الحافظ الخطيب فى (التاريخ) بسنده عن أبى على الخلال (أحد كبار أئمة الحنابلة وهو ثقة محدث معتبر)، يقول: ما أهمنى أمر فقصدت قبر موسى (الكاظم)، ابن جعفر ، فتوسلت به إلا سهل الله لى ما أحب.

وذكر الحافظ الخطيب فى (التاريخ) أيضًا أن الإمام الشافعى يقول: إنى لأتبرك بأبى حنيفة وأجىء إلى قبره ، وكلما عرضت لى حاجة صليت ركعتين وأتيت إلى قبره فسألت الله ، فما تبعد عنى حاجتى حتى تقضى.

وهؤلاء أئمة الأمة، وسادة علمائها وأمراء سلفها. .

فكيف نترك علمهم الخالص لله، للعلم المتهم بكل عيوب الدنيا حسًا ومعنى بداية ونهاية؟!.

فائدة (١٢):

وذكر الإمام (التاج بن السبكى) فى طبقات الشافعية فى ترجمة الإمام الغزالى ، أن قبر الغزالى (بطوس) يدعو الناس عنده فيستجاب لهم.

وذكر السبكى أيضًا أن قبر (يوسف بن دوناس) ظاهر معروف باستجابة الدعاء عنده.

وأهل العراق يقولون: الدعاء عند قبر (معروف الكرخى) ترياق مجرب. ذكره الإمام الذهبى.

وذكر الحافظ (المقرى) فى (مسند أصبهان) فيما نقله السخاوى فى (القول البديع) أنه كان مع الحافظ الطبرانى ، والحافظ أبو الشيخ عند قبر رسول الله ﷺ، وقد هدهم الجوع، فشكوا إليه فى قبره ﷺ فإذا برجل علوى يحمل إليهم زنابيل من الطعام، ويقول: شكوتم إلى رسول الله ﷺ فجاءنى فأمرنى بهذا.

وهؤلاء الرجال الثلاثة من أشهر الحفاظ، فقولهم وعملهم حجة لا شك فيها إن شاء الله تعالى ...

وقد اعترف الشيخ ابن تيمية بإكرام الله تعالى لقوم ممن التجئوا إلى القبر الشريف توسلاً إلى الله بصاحبه ﷺ.

فائدة (١٣):

(الشرك) : اعتقاد أن لله شريكًا يدبر الأمر معه ويشاركه في حكمه... أما **(التوسل)** فهو التقرب بما يرضى المتقرب إليه.. **(والاستغاثة)** طلب النجدة ممن يستطيعها.. **(والدعاء)** النداء والطلب، وكل واحد من هذه له في ذاته حقيقة مستقلة مباينة للآخر تمام المباينة، والخلط بينها إما جهل أو تغليط أو تعصب جاهلي.. ومنه سحب الآيات التي نزلت في المشركين على أهل القبلة والموحّدين، **مما** أنكره البخاري وغيره من كبار أئمة الحديث والفقه والعقائد؛ فهو من أمكر وأنكر البدع التي فرقت الصف الإسلامي وفرقت الأمة، حتى أطمعت فيها أقل الخلق وأنذلهم وأهونهم على الله.

وكل ذلك باسم (السلفية المظلومة) والتوحيد المفترى

عليه، ثم إن ذلك ليس تدينًا واعتقادًا، ولكنه أيسر الأسباب إلى الربح المربح، والمتعة المحرمة.

فائـــدة (١٤) :

الذى يذهب إلى إحـدى البـلاد أو الأماكن لـزيارة قبـر رجل من أوليـاء الله أو الصالحـين بعـامة، لا يشـمله أبدًا حديث منع شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة (على فرض الأخذ بظاهره وعدم تأويله) بما أشرنا إليه فى كتابنا (أصول الوصـول). . ذلك لأن شد الـرحال هنا هو لـزيارة القبـر والصدقـة والتماس البركـة وتنفيذ أمـر النبى بزيارة المقابر. فليس لزيارة المسجد ، فـخرج من حكم المنع (عند التسليم به)، وقد صح أن رسول الله ﷺ كان يشد الرحال لزيارة مسجد قباء فى ضـواحى المدينة، وهو غير المساجد الثلاثة، وكـان أبو هريرة راوى حـديث المنـع يشـد الرحـال لزيارة القبور.

وقد روى أبو الشيخ الأزدى ، وأبو الحسن العسكرى ، وأبو موسى المدينى ، قال ﷺ : «لو أعـرف موضع قبر يحيى بن زكـريا لزرته» فدل على جواز الرحلة لزيارة قـبور

الصالحين، وبهذا ينقطع الهدف الملتوى حول موضوع السفر لزيارة أولياء الله ، وعبـاده الصالحين مما يتشـدق به مرتزقة الدنيا والريال والدولار.

فائـدة (١٥) :

كرامات الصالحين بعد الموت ثابتة:

(أولاً) لأنهـا من خصـائص الروح، والروح باقيـة وإن فنى الجسد.

(ثانيًا) ما تأكد من قـصة الصحابى الذى غيـبته الملائكة بعد موته وغيره، والموضوع مستوفى تمام الاستيفاء من أخينا فى الله تعـالى المرحـوم السيـد المحـدث الشـيخ عبـد الله ابن الصديق الغمارى رحمه الله فى كتابه (الحجج البينات)، وكـما يشـهد بـذلك الواقع المكرر المتـواتر فى جمـيع بلاد الإسلام[1].

١- وللإمام الرائد رسالة (الكرامات والخوارق) استوفى فيها هذه المسائل من النـاحية العـقلية والشرعـية والعلميـة. وهى تحت الطبع قريباً إن شاء الله.

فائـــدة (١٦) :

قد يخطىء بعـض العامة أو الجـمهور ، فـيقول مـثلا : (نذرت) هذا الشيء لفلان، فيـنبرى له بعضهم متـهمًا إياه بالشرك والكـفر ، والخروج من الملة، بل واسـتحـلال دمه وعرضه وماله، بدلاً من توجيهه بالتى هى أحسن ، مع أنه ثبت تمامًا أن سـيدنا (سعـدًا) حفـر بئر ماء لتكون صـدقة جـارية على أمـه ثم قـال : (هذه لأم سعـد) أى أنهـا لله وثوابها لأم سعـد، اعتماداً على مـفهوم الكلمـة ، وحال المتكلم، ولم ينكر عليه أحد ، لا رسول الله ﷺ ولا صحابته.

فائـــدة (١٧) :

روى الطبـرانى بإسنادٍ رجاله ثقـات (كمـا قال الحـافظ الهـيثـمى) أن رســول الله ﷺ قال: «إن لله مـلائكة فى الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر (أى أنهم يكتـبون كل شىء حـتى سـقوط ورق الشـجر) فـإذا أصاب أحدكم عَـرْجَةً ،بأرض فلاة، فيناد: أعـينوا يا عباد الله»، وفى لفظ آخر: «أغيثونى» فإن لله عبادًا لا نراهم.

ورواه الطبرانى أيضًا وأبو يعلى وابن السنى ونحوه غير أنه قال: «يا عباد الله احبسوا؛ فإن الله حاضر فى الأرض سيحبسه عليكم».

وقد ذكر النووى صحة هذه التجربة، والمراد هنا جواز الاستعانة أو الاستغاثة بما يقدر عليه المخلوق حاضرًا كان أو غائبًا، منظورًا أو غير منظور، أمّا غير ذلك فيطلب من الله وحده.

فائدة (١٨):

وأخيرًا؛ فإن الله تعالى أمرنا أمرًا صريحًا باتخاذ الوسيلة فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ فلا خلاف على مشروعيتها قط، إنما الخلاف على الصورة والأسلوب والكيفية، ونحوها وهذه أمور فرعية لا تفسد عقيدة ولا عبادة، وقد ورد أن رسول الله ﷺ توسل بحق السائلين على الله وبحق ممشاه ﷺ إلى الله، وبغير ذلك كما ثبت أنه أمر بالتوسل به ﷺ كما جاء فى حديث الضرير وقد سبق.

ثم بعد كل مـا قدمنا من أدلة على أن التـوسل مطلوب شرعًا[1] ، مأمـور به فى كتـاب الله، وأن الخلاف استـجد حول التطبيق على الأصيل، شـأن ما لا يحصى من قضايا علوم الدين، وبهذا يكون قد انحسر الغبار عن الحقيقة التى حاول قوم إخفاءها لحاجة فى نفوسهم، لا لله ولا للناس، والحمد لله رب العالمين.

تنبيـــــــه

إننا بما نكتب إنما نريـد الصواب من حـيث هو، وليس في اعتـبارنا أشخاصـًا فقط، ولكن الدعـوة والرأى والمبـــدأ والمذهب لا غـيـر... ونحن ندعو إلى رفق وسماحة وحب وتجمع، ونرفض التشدد والتعصب والتمزق والتشرذم والتشدق... ونسأل الله العفو والمغفرة.

١- وراجع كتـاب الإمام الرائد «الإفهـام والإفحام» أو «قـضايا التوسل والوسـيلة» لتجـد الموضوع تاماً مـفصلاً مـخرجة أحـاديثه، موضحة أدلته، بما لا يدع مجالاً لجدال مُجادل أو وهم واَهم.

القراءة على القبور والموتى

دعوى المتمسلفة بأن قراءة القرآن لا تنفع الميت ولا تصل إليه تغليط وإبهام مخالف للعلم والدين والعقل. وعمل السلف الصالح[1].

والميت حقًا ينقطع عمله (هو) بعد موته، ولكن لا ينقطع عمل غيره له، كزيارته والصدقة عليه والدعاء له، والحج عنه وسداد دينه.. إلخ..

قال الإمام النووى فى (الأذكار) ما نصه:

واختلف العلماء فى وصول ثواب قراءة القرآن ، والمشهور من مذهب الشافعى وجماعة أنه لا يصل[2] وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء ، وجماعة من أصحاب الشافعى إلى أنه يصل، فالاختيار أن يقول القارىء بعد فراغه (اللهم أوصل ثواب ما قرأت لفلان)... والنووى وهو شافعى يرى وصول ثواب القراءة مع جمهور علماء المسلمين.

---

(١) وقد استوفينا هذه المسائل وغيرها فى كتابنا (الإسكات بركات القرآن على الأحياء والأموات) فليراجع من أراد التوسع.

(٢) على أن جمهور المتأخرين من علماء الشافعية قال بوصول

وقال ابن القيم :

واختلفوا فى العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر، فمذهب الإمام أحمد ، وجمهور السلف وصولها ، وهو قول بعض أصحاب أبى حنيفة، ثم نقل ابن القيم عن الإمام أحمد أنه أذن بقراءة آية الكرسى والإخلاص ثلاث مرات، قال: وقل: أى ادع (أن يصله) أى ثواب القرآن لأهل المقابر.

قال ابن القيم: وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام أنه لا يصل إلى الميت شىء البتة، فسمى المانعين (أهل البدع)[1].

وصرح الحافظ فى (الجواب الكافى) بوصول ثواب القرآن للميت، وبه قال ابن رشد فى (البداية)، وابن هلال فى (النوازل) وعشرات غيرهم (راجع كتاب الروح لابن القيم).

وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ أجاز فيما أجاز لولى الميت الحج والعمرة عنه، وفيهما صلاة وقرآن،

---

(١) وفى الحديث (أهل البدع كلاب النار) والمانعون الآن هم متمسلفة آخر الزمان.

وبهذا ثبت قياسًا جواز قراءة القرآن له فهو عبادة ضمن عبادة يشملها الحج والصلاة أيضًا عن الميت.

والقضية أن أية عبادة صحيحة لها ثواب مؤكد، والثواب ملك للفاعل، فإذا هو أهدى هذا الثواب لغيره بالنية أو بالنطق، أوصله الله لفضله إليه ، ونكرر أنه ليس كل ما لم يصل إلينا أن الصحابة لم يفعلوه يكون حرامًا فأسباب الترك شتى كما قررنا من قبل. . ثم بالتأكيد أنه لم تصل إلينا كل أعمال الصحابة، وسترى أنهم فعلوه فيما يأتى، ولهذا يرد النبى ﷺ عن ذلك.

وقد روى الطبرانى بسند رجاله موثقون كما قرره الحافظ الهيثمى، أن العلاء بن اللجلاج أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخواتيمها، قال العلاء بن اللجلاج: «سمعت ابن عمر يوصى بذلك».

وقد نقل ابن القيم عن الخلال فى (الجامع) كيف كان الإمام أحمد يمنع القراءة عند القبور حتى إذا سمع الحديث الثابت فى هذا رجع وأجاز القراءة.

وذكر الخلال عن الشعبى: أن الأنصار كانوا يقرءون القرآن عند قبور موتاهم.

روى أحمد والنسائى وأبو داود وابن ماجة عن معقل ابن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «قلب القرآن يٰس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، اقرءوها على موتاكم» صححه ابن حبان، والحاكم، وأكد الشوكانى وابن الرفعة قراءتها على المحتضر للتدبر، وعلى الميت لثواب القراءة وبركتها، وذلك لأن لفظ الموتى حقيقة فيمن مات بالفعل، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل قاطع، ولا دليل هنا، وذكر القرطبى فى (التذكرة)؛ قال ﷺ: «من دخل المقابر فقرأ سورة يٰس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات».

قال (المروزى) ما جملته: «أن أحمد بن حنبل كان يوصى زائر المقابر بقراءة فاتحة الكتاب والمعوذتين والصمدية ويجعل ثوابها لأهل القبور».

وقال الإمام النووى فى (شرح المهذب): ويستحب لزائر القبور أن يقرأ من القرآن ما تيسر ، كما نص عليه الشافعى واتفق عليه الأصحاب، وهكذا قال فى (الأذكار) أن الشافعى والأصحاب استحبوا بعد الدفن أن يقرأ عنده شىء من القرآن، فإن ختموا القرآن كله كان حسنًا.

بقى قولهم: إن الله يقول عن القرآن ﴿**لينذر من كان حيًا**﴾.

وهذه حقيقة لا تمنع أبدًا أن يكون بجوار الإنذار بركات وأسرار، كهذه التى جعلها الله فى أنواع (الرقى) بالقرآن، حتى لأمراض الأجسام كما جاء فى حديث (اللديغ) وهو فى الصحيحين.

وهنا يكون قصر منفعة القرآن على الإنذار وحده تحكم عصبى، وميراث جاهلى ممقوت.

وبعد كل هذا من الحق الواضح عقلاً ونقلاً فإنه لا مجال للّجاجة والتشكيك فى وصول ثواب القرآن إلى الموتى، وحسبك أن قراءة القرآن تتنزل بها البركات، فلو لم يكن إلا نزول البركة على القارىء والسامع والمقبور لكفى ﴿**ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون* لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون**﴾

والحمد لله رب العالمين.



على هامش منزلة أهل البيت في الحديث الشريف

روى الطبراني وابن السبكي والبيهقي والدارقطني بسنده عن جابر أن عمر بن الخطاب حين تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب كان يقول: «ألا تهنوني؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي ونسبي».

قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير الحسن فهو ثقة، وللحديث ألفاظ أخرى كلها صحيحة ، ذكرها ابن كثير في (جامع المسانيد) والسمهودي في (جواهر العقدين)، والسخاوي في (الاستجلاب) وغيرهم.

وفي رواية المؤذن وابن الأخضر زيادة: «وكل ولد أم فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فأنا أبوهم وعصبتهم»، وفي رواية أبي نعيم: «وكل ولد أب» بدلا من «كل ولد أم».

وفي رواية أحمد والحاكم والبيهقي قال ﷺ: «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها، وإن

الأنساب يوم القيامة تنقطع إلا نسبى وسببى وصهرى)، وفى رواية الطبرانى فى (الأوسط) جاء ذكر لفظ (صهر) أيضًا، وصححه التاج السبكى فى أول (الطبقات).

وفى رواية الحاكم والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى، سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه يوم القيامة!! بلى والله إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة».

وأخرج الحاكم عن جابر قال ﷺ على المنبر: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وصاحبُ لواء الحمد ولا فخر، وفى ظل عرش الرحمن يوم القيامة ولا فخر، ما بال أقوام يزعمون أن رحمى لا تنفع؟ بلى، إننى لأشفع فأشفع، حتى إن من أشفع له ليشفع، حتى إن إبليس ليتطاول طمعًا فى الشفاعة».

والخلاصة: إن هذا الفضل والشرف إنما يكون لمن يعطى النسب حقه من الطاعة والاستقامة طوق الجهد، أما من يُسرف على نفسه ويتابع شيطانه، ويعصى مولاه اعتمادًا على هذا النسب فلسوف لا ينفعه سبب ولا صهر ولا نسب، فهو عارٌ فى جبين أهل البيت، وهو من أهل

حديث الصحيحين حين صعد النبى ﷺ (الصفا) ونادى بطون قريش بطنًا بطنًا فقال لهم:

«يا بنى كعب بن لؤى، أنقذوا أنفسكم من النار، لا أغنى عنكم من الله شيئًا، يا بنى مرة بن كعب.. يا...، يا...، إلى أن قال: يا صفية عمة رسول الله ﷺ أنقذى نفسك من النار، لا أغنى عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئتِ، أنقذى نفسك من النار لا أغنى عنك من الله شيئًا».

وقد أوصى ﷺ أهله وأمرهم فقال ما مجمله: «لا يأتى الناس يوم القيامة بالأعمال وتأتون بالأفعال، تنادون: يا محمداه يا محمداه فأشيح بوجهى هكذا وهكذا».

وهكذا؛ فإنه لا يغنى عند الله ورقة أو وثيقة ممهورة أو موقعة أو مختومة استخرجها من استخرجها من أية جهة، بطريق صحيح أو كاذب، على تصديق أو تلفيق، حقيقى كان هذا أو باطل، فإن الشرف فى التقوى والتنزه عن الهوى، فلا العمامة الخضراء، ولا الطراز اللافت للنظر، ولا الوظائف ولا الأموال والجاه بالشىء الذى يجعل الإنسان أهلاً للنسبة العليا إلى (آل البيت)، والانتفاع

بشفاعة جـدهم ﷺ، إنما النبى جد لكل تقى، وإن كان ما كان . .

ألا ترى إلى قوله ﷺ «سلمان منا أهل البيت» فافهم وعلم الناس وتذكـر الحكمة العظيـمة على لسـان الحق عز وجل «الجنة لمن أطاعنى ولو كان عـبدًا حبشـيًا ، والنار لمن عصانى ولو كان شريفًا قرشيًا» .

﴿فـإذا نفخ فى الصـور فـلا أنسـاب بينـهم يومـئـذ ولا يتساءلون﴾ .

والله الموفق المستعان .

أيها الأخ المحمدى ...

اعلم أننا ندعـو إلـى سنة ، ونحـارب كل بدعـة، وإن أساس دعـوتنا ! العلم والعمل، وإصـلاح الظاهر والباطن، وجـهاد النفس والشـيطان، والدعـوة إلى الله على بصيـرة، وحب جميع المسلمين...

واعلم أن من خـالفنا فليـس منا، وإن انتـسـب إلينا، ومسئـوليته فى كل ما يأتيه عليـه لا علينا... إن دعوتنا حب وخلق، وعلم وعمل، وعبادة ودعوة، ودين ودنيا، وعلاقتنا بالله ورسوله لا تفتر ولا تنتهى.

جواز العمل بالحديث الضعيف

ذكرنا كثيراً من قبل، خصوصًا فى رسالتنا «وظيفة الحديث الضعيف فى الإسلام» أن للحديث الضعيف مجالاً يُعمل به فيه، وأن هؤلاء الذين يردون كثيراً من الأمور والأحكام، ويُحكّمون هواهم المريض، بحجة ضعف هذا الحديث أو ذاك، هؤلاءِ قد خرجوا عن الجادة، ولم يتبعوا المنهج العلمى القويم، فيما اختاروه لأنفسهم.

ونحن إذ نحيلك على رسالتنا فى الحديث الضعيف، ننقل إليك شيئًا عن العمل بالحديث الضعيف فى الأحكام فضلاً عن الفضائل ونحوها، مما كتبه أخونا وولدنا العلامة الشيخ محمود سعيد ممدوح فى مجلتنا «المسلم» الغراء.

قال أكرمه الله:

العمل بالحديث الضعيف لم يقتصر على الفضائل والترغيب والترهيب والأمثال ونحو ذلك؛ فإننا نرى العلماء قد تسامحوا بالعمل به فى الأحكام أيضًا وقد نصوا على ذلك.

قال ابن القيم الحنبلى فى إعلام الموقعين (١/ ٧٧): وأصحاب أبى حنيفة مجمعون على أن مذهب أبى حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأى وعلى هذا بنى مذهبه.

وقال ابن القيم أيضًا (١/ ٣١): والأصل الرابع من أصول الإمام أحمد الذى بنى عليه فتاويه الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن فى الباب شىء يدفعه، وهو الذى رجحه على القياس، ثم قال: وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافقه على هذا الأصل.

وعمل الشافعى بالمرسل إذا عضد بمعضدات منها فتوى الصحابة أو قول بعض أهل العلم ، بل قال الزركشى ينبغى أن يستثنى من منع العمل بالخبر الضعيف فى الأحكام إذا لم يوجد سواه.

وقد ذكر الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغمارى فى كتابه المثنونى والبتار: عمل المالكية بالحديث الضعيف، وذكر شواهده (١/ ١٧٤-١٨٠) .

ويروى الترمذى الأحاديث فى سننه وينص على ضعفها، ثم يبين عمل أهل العلم بها، بل قال الترمذى فى

أول كتاب العلل (٤٦١/ ١٠ تحفة): جميع ما فى هذا الكتاب من الحديث هو معمول به، وبه أخذ بعض أهل العلم ما خلا حديثين ثم ذكرهما [١].

وقال أبو داود فى رسالته لأهل مكة التى يصف فيها سننه (١/ ٣٥ بذل المجهود): وما لم أذكر فيه شيئًا فهو صالح[٢]، وبعضها أصح من بعض.

ومعنى صالح أى صالح للاحتجاج والعمل به عند الفقهاء، ومعلوم أن بعض ما سكت عنه أبو داود محكوم عليه بالضعف، والبعض الآخر من الصحيح والحسن .

فلا يرى المنصف ـ بعد ما تقدم ـ تخلف أحد من الأئمة أصحاب المذاهب عن العمل بالحديث الضعيف.

---

(١) على أن الحديثين اللذين ذكرهما قد عمل بهما بعض الأئمة كما بسطه محمد معين السندى فى «دراسات اللبيب فى الأسوة الحسنة بالحبيب»، وانظر «كلمة الفصل فى قتل مدمنى الخمر» للشيخ أحمد شاكر، و«إزالة الخطر» للسيد أحمد بن الصديق رحم الله الجميع.

(٢) وفى نسخ أخرى: وما سكت عنه.

«هذا هـو تصوفنـا»

نص الخطاب التاريخى الصوفى المركز الذى حمله وفد العشيرة و (الطريقة) بإشراف الدكتور الأخ «أحمد السايح» الأستاذ بجامعة الأزهر نيابة عن العشيرة والطريقة إلى المؤتمر الصوفى العالمى المنعقد بليبيا، وبمشاركة حكومتها وشعبها ووفود الصوفية من أنحاء العالم، فى (سبتمبر ١٩٩٥ م)، بمناسبة ذكرى استشهاد الصوفى المجاهد الشيخ عمر المختار رضى الله عنه.

« بيـــان »

نص الخطاب التاريخى الصوفى المركّـز الذى حمله وفد العـشيرة والطـريقة المحـمـدية بإشـراف الدكـتور «أحـمـد السايح» الأستاذ بجامعة الأزهر، نيابة عن العشيرة والطريقة، إلى المؤتمر الصوفى العالمى المنعقد بليبيا، وبمشاركة حكومتها وشعبهـا، وهو البحث الذى اعتمده المؤتمر ، ولم يعتـمد غيره ، بقلم فضيلة الإمام الرائد ، ويعتبر بحثًا غير تقليدى.

وقـد حضـر من ليـبـيـا لدعوة العـشـيـرة بمصر الـسيـد وزير الأوقاف بها، مع السـيد عميـد الطرق الصوفية بليـبيا، أثابهما الله.

وقد انعـقد المؤتمر هناك ثلاثة أيام من (٢٩/ ٩/ ١٩٩٥)، بمناسبة ذكرى استشهـاد السيد الصوفى المجاهد الإمام الشيخ عمر المختار رضى الله عنه.

وهذا هو نصّ البحث بعد حذف المقـدمة، والخاتمة أيضًا، اختصاراً والله الموفق المستعان .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله وصلاة وسلامًا على مصطفاه ، ومن والاه ، فى مبدأ الأمر ومنتهاه

*** مقدمة بين يدي البحث :**

الكلام فى سبب تسمية (التصوف)، واشتقاق لفظه أو عدم اشتقاقه، وتعليلات التسمية، وما يتعلق بذلك مما تحدث السادة فيه، أمثال الشيخ (القشيرى) فى رسالته، فإنما كل ذلك من السطحيات والقشور التى لا ترتبط بصميم هذا الموضوع الخطير، وإنما نحن الآن أمام حقائق واقعية تسمى باسم (التصوف) بكل تاريخه، والعلم به، ويسمى أهل هذه الحقائق باسم (الصوفية) دون التأثر بأصل التسمية أو سببها أو اشتقاقها، ولهذا لم نرجح الاهتمام بهذا الجانب، بجوار اهتمامنا كله بالجانب العملى الواقعى الذى اتفق عليه الأكثرون من أهل العلم والدعوة، وعارضته قلة ممن تسموا باسم (السلفية) لأسباب مختلفة، منها المرفوض وغير المرفوض. على أن الصوفية كلها على اختلاف أسمائها هى مذهب واحد، يبدأ بـ(التوبة) وينتهى

بـ(المعـرفة)، وأمـا التعـدد ففى المناهج ووسـائل السلوك، ليجد كلٌّ ما يناسبه.

فـ(الصـوفيـة والسلفـية) اسـمان مـسـتحـدثان لفكرين أو دعوتين هما فى الواقع (بعد تخليص كل منهما مما ليس منه) شىء واحـد، هو: الإسـلام السـمح القـوى الرقـيق الوثيق، كما سنرى إن شاء الله فى هذا البحث، الذى أردنا به تجميع الأمة وتكتيلها بعد تفرقها وتمزقها؛ فلعل وعسى، والله الموفق المستعان.

١- التصوف الصحيح من الوحى:

التصوف الصحيح جزء أصيل من الإسلام:

أعنى: التصوف الذى ندعوا إليه، وندافع عنه، ونتشرف بالانتساب إليه، هو: ما جاء به الوحى، فيما ثبت بالكتاب والسنة قبل كل شىء.

إذن: فالتصوف قـديم قدم الإسلام، وذلك أن من أهم أصول التـصوف: (١) التوحـيد (٢) والعلم (٣) والعـبادة (٤) والأخـلاق (٥) والعمل الـشامل على مـا تحـمله هذه العناصـر من فصـول شتى وفـروع، وهذه كلها منصـوص

عليها فى كتاب الله بكل صراحة، لا تقبل التأويل، ولا التحوير ولا التبديل.

وهكذا يتأكد بلا مراء أن التصوف جزء أصيل من صميم الإسلام؛ لأن هذه العناصر أصول لا خلاف عليها فى حقائق الإسلام على الإطلاق .

أما المستحدث فى علم التصوف فهو المستحدث فى كل علوم الإسلام حين أخذت هذه العلوم طريقها إلى التقعيد والتأصيل والتفصيل والتسجيل، فى عهد التدوين منذ بدأ فى أواخر القرن الأول الهجرى فما بعده ، حتى نضج فى أوائل القرن الثالث مع غيره من علوم الإسلام، فكان علم التفسير وعلم الحديث، ثم علم الأخلاق الذى هو علم التصوف القويم، وهو ثمرة بقية علوم الدين كلها، وقد اندس فى علم التصوف ما اندس فى بقية علوم الإسلام من الدخيل والمفترى، بحكم مقتضى حركة الفتوح والتطور، وحكم البيئة ولؤم أعداء الإسلام، فقد كان التصوف ثورة عارمة على الترف والانحلال والاستعجام والفساد الطارىء على الإسلام بحكم الفتوح؛ فالتصوف (صلاح وإصلاح).

وقد اختص التصوف بخدمة (علم الأخلاق التطبيقى) (وهو الغاية الكبرى من التدين جميعًا) لترويض الوحشية الإنسانية والارتقاء بها فى معارج التسامى إلى مقامات الخلافة عن الله فى الأرض، ثم الترقى فى مراتب القرب والولاية والوصول ، وفى كل ذلك تفصيل وتفريع متكامل لا يتسع له هذا المقام؛ فالمجتمع فرد مكرر يصلح الكل بصلاحه، ويفسد بفساده.

وليس بشىء من التصوف هذا التخلف أو القعود أو الانطواء أو الانفرادية أو التقوقع أو التبله، فذلك جميعًا ليس من الإسلام الذى هو خلافة الله على الأرض، بما لا بد للمسلم من أنواع العلوم وتطبيقها، والزيادة عليها فى كل جوانب الفكر، والفعل الإيجابى التقدمى السليم. عندئذ يخطو خطواته الثوابت نحو التصوف، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، أو أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، فهو فى سعادة دائمة بمعاملة الله والرضا عنه.

٢- الصوفية فى القرآن هم عباد الرحمن :

وقد وصف القرآن الصوفية الذين ذكرنا بعض شأنهم

من قبل وحفظ الزمن تاريخهم العظيم - وصفهم وصفًا مُجمّعًا ومفرّقًا، فالوصف المجمع نجده فى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...﴾ الآيات المفصلة من أواخر سورة الفرقان، وفى قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ الآيات من أواسط سورة الأحزاب ، وقوله تعالى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ الآيات من سورة التوبة، والشروح المستفيضة لها جميعًا عبارة وإشارة.

أما الوصف المفرَّق فهو فى الآيات الكثيرات الداعية إلى الفضائل والعبادة والتسامى، أمرًا ونهيًا، ثم القصص القرآنى الشارح لبعض هذه الآيات الجوامع نصًّا أو تأويلاً ، وهى كنز لا يفنى.

(فالصوفية) عندنا كما هى فى القرآن رجالها هم ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾، فهم أهل مقام (العبودية) الأسمى، التى شرف الله بها الأنبياء فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ - ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ - ﴿يَا عِبَادِى...﴾ - ﴿يَا عِبَادِ...﴾ الآيات، ثم من بعدهم الوارثون من الزُهَّاد والعُبَّاد والعُلَمَاء والدُعَاة، والعاملين لوجه الله.

فـإذا كان قـد غلب على السـادة أهل (العبـودية) اسم (الصوفية) بفعل الحياة، وحركة الفتوح، واختلاف الظروف وحكم البيـئات ، وتفاعـلات المجتمع، ومـا يرتبط بظاهر دورة الحياة، مما ذكره أهل العلم الراشد والسادة المؤرخون، فهذه كلـها قشور وسطوح، لا تغيـر من واقع الأمر ، ولا من الحقيقة واللباب شيئًا.

فحـقيقـة التصوف إذن ، وأخـذًا مما قدمنا، ومن واقع الأمـر، وعمل المـلتزمـين من رجـاله، بداية ونهـاية: هو (التـقـوى) و(التـبتـل)، أى: هو (التـخلى عن كل دنى، والتحلى بكل سنى)، وحول هذه المعانى تدور كل تعريفات أهل الحق للتصوف الواعى المستنير.

٣- توضيح جديد:

ولما كان التصوف ـ فى اعتقادنا وفى عرفنا ـ هو : أنقى وأرقى (قـيمة) إيـمانيـة، والقيـمة الإيمـانية بحـقيـقتـها وهيـولاها: (قـمة) غـيـر مكررة، والبلوغ إلى القـمـة مما لا يتيسر إلا لأهل الله، ممن سبـقت لهم المشيئة الربانية، بما لابد منه من طول استمـرارية الجهاد الأصغر والأكبـر معًا،

ومن الصبر على المشاق الذاتية فى هذا الجهاد الشامل المتكامل المحيط بالجهاد الفكرى والتطبيقى والحضارى.

ومن ثَمَّ كانت هذه القيمة هى: (الربانية) التى وجهنا إليها القرآن ﴿**كونوا ربانيين**﴾، ودعنا من محاولة رد التصوف إلى الاشتقاق اللغوى أو الإشراق المعنوى، ونحو هذا، فإنها كما أسلفنا قشور وسطوح لا تغنى، إنما التصوف على كنهه وذاتيته، فهو كما نقرر ونكرر: (التزكية) التى منّ الله بها على المؤمنين فى الآيتين الشريفتين ﴿**يعلمهم ويزكيهم**﴾ ثم ﴿**يزكيهم ويعلمهم**﴾ فهو روح التدين، والتدين روح الحياة، بمقتضى الاستخلاف الإلهى والاستعمار القرآنى للأرض، وقيادة الدنيا إلى منتهى رتب التسامى الربانى، والإنسانية الرفيعة، وسيادة الدنيا، بأسباب الحضارة، ومن هنا كذلك كان التصوف هو (الربانية الإسلامية) كما قدمنا.

ثم إن التزكية على ما جاءت فى الآيتين هى جذور شجرة (التقوى) وثمرتها، وحسبك أنه ما أنزل الله من كتاب، ولا أرسل من رسول إلا (بالتقوى)، فالتقوى هى

كلمة السر الجامعة لقضايا الدارين وحقوقهما معًا منذ آدم، وإذن: فالتصوف الحق هو (التقوى) على معانيها ، ولا نُحَاسَب على ما عند غيرنا فـ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ .

٤- تجاوزات المتصوفة :

وإذا كان فى الصوفية من بالغ فى التزهد أو الاعتزال أو الانطوائية أو نحوها، أو من شطح مع الفلسفة والتيه فى دروبها، أو العقلانية المتفلتة، وتداعيات ذلك كله، أو من خرج عن التصوف، بممارسة البدع والمناكر والدخيل على التصوف الإسلامى الصحيح؛ فهؤلاء جميعًا لا يخلو منهم تجمع ولا مجتمع ولا مذهب، وليس هم ذات التجمع أو المجتمع أو المذهب، فهم من ضروريات الحياة وهوامش الخلق لاستكمال دورة القدرة، و من دلائل احتوائها للمتناقضات، وهذه لا يترتب على وجودها أو فقدها حكم عام أو قانون محدد، أو مقدمات للنتائج ، فلا يقاس بهم ولا لهم ولا عليهم فى واديهم الشاسع المخصوص بهم، إنما غالبًا يكون شأنهم شأن المرضى فى عوالم الأصحاء.

ثم نخـــرج من كل ذلك بأن الـتـصـــوف هو: (طلب الكمال)، و(طلب الكمال) فريضة على كل مسلم لاخلاف قط على هذا بين معترف ومنكر.

نعم: الإسلام شيء غير المسلم، فهل نترك الإسلام لأن مِمّن ينتسب إليه بعض القتلة أو السارقين أو الزناة أو نحوهم؟!

فكذلك التصوف شيء غير الصوفى أو المتصوف، فهل نترك التصوف بكل ما له من الفضائل لأن ممن ينتسب إليه منحرفين أو منجرفين أو مقترفين أو جاهلين أو نحوهم، طبعًا وشرعًا وعقلاً نقول: (لا ولا ... ثم لا، ولا) !.

وهنا لا بد من اعتبار الاصطلاح، فالصوفى هو: الواصل المقرب، والمتصوف هو: السالك الصادق، والمتمصوف أو المستصوف هو: الدعىّ الكذاب. على أى صورة أو كيفية أو وضع يكون.

وبهذا نعرف أنه ليس من التصوف (الطبل، والزمر، والرقص) ومحرمات زيارة الأضرحة، والمثالب الملحقة

بالموالد[1]، وتحريف اسم الله، والشطحات المفتعلة، أو الفلسفات المنحرفة، أو المبتدعات المتفق على إثمها ورفضها، أو الدروشة والتبله، أو ادعاء الكرامات والخوارق، أو القول بمخالفة الشريعة للحقيقة ، والضلال والتحريف، أو التعطل والبطالة أو نحو ذلك، مما أجمع علماء التصوف والتسلف على مخالفتها للشريعة قولاً واحدًا، فكل هذا ساقط بالطبع والوضع من عداد تصوف أهل الله؛ فلا يحسب على أهل الحق، ولا يؤاخذون به.

٥- المتصوف إنسان نموذجى :

وإن مما يَتَغَيَّاه التصوف الإسلامى هو: تشكيل الإنسان النموذجى، أى: طالب الكمال، أى: الإنسان القائم بكل الصدق بحق الله والناس، والجامع بين مطالب الدنيا والدين ، بلا رياء، وفى سماحة ويسر ورفق وتواضع، مع المسابقة إلى خير الحياتين تدينًا وتقدمًا وعلمًا، وسيادة وأدبًا

---

(١) الحقيقة أن الطرق الصوفية لا ذنب لها فيما يشوه الموالد من الملاهى والمقاهى والغرز والمراقص والمسارح الهابطة ، فهذا شأن الحكومة، وهى التى تصرح لهم، شاء الصوفية أم لم يشاءوا.

وشموخًا ورفعة، فحيث كان الصوفى الحق الواعى الراشد، كان الخلق الرفيع والحب والسلام والبشائر والفضل والتجديد والمواساة والمجاملات، وسعة الصدر والتماس الأعذار للناس وبعد النظر، فى إشراقات من لمحات الغيب، ونفحات الأنس بالله، مع الممارسة والتعامل مع مستحدثات العلم والحضارة والتقدم، باعتبار ذلك جميعًا من ألوان وصنوف عبادة الله التى بدونها لا تتحقق خلافة الله على الأرض.

فى حين ترى من خصوصيات المذهب المقابل: المفاخرة بالتعصب والجمود والتكشير ودعوى احتكار الصواب، مع الكبر والتعالى والتغالى، والاشمئناط والتجهم والعبوس، والفظاظة والبذاءة، وسوء الظن واحتقار الآخرين، حتى ليعتقد بعضهم أن لعن أو تكفير أو تشريك أو شتم أو تبديع أو إيذاء من لم يكن منهم هو: التعبد، وهو: الدين الصحيح، وهو مكارم الأخلاق عندهم، ولا قوة إلاَّ بالله، والحمد لله، ليس شىء من هذا من صفات الصوفية الأبرار.

كل هذا الميراث الصوفى الأصيل مدد موصول من رسالة مولانا (إمام الصوفية الأعظم) سيد النبيين رسول الله ﷺ، ثم من بعده كرام صحابته، ثم تابعوهم، ثم من سار على منهجهم الذى خضعت له الدنيا، تحت لواء العلم والعبادة والفضيلة، على كل مستوى يتاح للناس خصوصاً التجديد والاختراع والابتكار الفكرى والعملى.

ولا يفوتنا أن نسجل أن أول من أسس (الربط أو الرباطات) على الشواطئ وعمّرها هم الصوفية، للدفاع عن بيضة الإسلام، وهم كثير كثير، سجل التاريخ لهم ما لم يكن لغيرهم، ولا نطلب من الناس لكى يعرفوهم أن يراجعوا كتب أئمة الصوفية، كالشيخ القُشَيْرى والشيخ السهروردى وأبى حامد الغزالى والمحاسبى وابن عطاء الله والشيخ ابن زروق، ومن قبلهم أو بعدهم، ولكن يكفينا أن يعودوا إلى مثل رسالة (الصُوفية والفقراء) للشيخ ابن تيمية ثم إلى فتاويه الهادئة، ثم إلى الشيخ ابن القيم وشرحه على كتاب الشيخ الهروى، وكتابه (الروح)، (والحادى)، ثم إلى السادة كبار أئمة الحديث الشريف وعلم الرجال فلهم أسنادهم المباركة إلى التصوف ورجاله.

إن التصوف النقى، إكسير الإسلام، وخلاصته وعصارته، إنه (الإيمان والعمل)، إنه (الصلاح والإصلاح)، إنه (العلم والتطبيق)، إنه (الحب والسلام)، إنه (عبادة السعادة، وسعادة العبادة)، إنه أرقى مستويات الأدب الرفيع ، إنه الصفاء والتجلى، والإشراق والقرب، والأنس بالملأ الأعلى!! إنه (طلب الكمال) إنه (ربانية القرآن).

ولا ذنب للتصوف الحق فيما داخله والتصق به من جهالات وخرافات ، ومبتدعات وفلسفات منكرات، كما كررنا فقد داخل علم (التفسير) سيل جارف من الإسرائيليات والحماقات العلمية والجاهلية، وداخل (التوحيد) أو حال التمثيل والتعطيل وغيره. وداخل علم (الحديث) فيضان مريع من الموضوعات والمناكير، وداخل (علم الفقه) ما لا يحصى من الأقيسة المضللة، والفروضات النابية والخيالية المستحيلة، والحيل الملفقة المرفوضة، وهكذا... فليس من الإنصاف أبدًا أن يؤاخذ التصوف بما لا ذنب له فيه، ويعتذر عن غيره، والقضية هنا وهنا واحدة. بلا تشبح ولا تزوير.

وفى ذلك مقنع لطالب الحقيقة العادل، الذى يريد وجه الله، لا التعصب ومجرد الغلبة والعمالة؛ لإدراك مطالب الحياة الفانية، ﴿**والله يعلم المفسد من المصلح**﴾، ﴿**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة**﴾، ﴿**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**﴾ «ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له».

٦- نماذج من رجال التصوف :

لمجرد الذكرى والإنصاف العلمى، والتصوف الإيجابى، نذكر هذه النماذج الصوفية من مختلف أنحاء العالم الإسلامى، وهى على قلتها تدل على ما نتغياه إن شاء الله على اختلاف الزمان والمكان.

١- الإمام على بن أبى طالب، وهو بحمد الله غنى عن التعريف بمواقفه الخالدة وآثاره الماجدة.

٢- الحسن بن على بن أبى طالب، وهو أيضًا غنى عن التعريف بسوابق الفضل والحكمة.

٣- الإمام الحسين بن على، بما أسلف من مواقف المجد والعلاقة بالله، وما كان من مشاركته فى فتح شمال أفريقيا وأطراف آسيا بسيفه ولسانه وأسلوب حياته.

٤- السادة أبناء وأحفاد الحسن والحسين، ومفاخرهم العلمية والحربية والتعبدية واضحة خالدة.

٥- الإمام المالكى الجليل (أسد بن الفرات) فاتح صقلية، وحياته العلمية والحرية والصوفية ثابتة.

٦- الإمام الصوفى الثرى عبد الله بن المبارك، وقد كان يحج عامًا ويرابط عامًا، وذكره معروف موصوف .

٧- ولى الله سيدى أويس القرنى، وقد استشهد فى إحدى معارك الإمام علىّ.

٨- الإمام الصوفى أبى حامد الغزالى، وموقفه من الخليفة العباسى حين تخاذل أمام زحف الأعداء، مع مؤلفاته الخالدة.

٩- الإمام الجليل الشيخ العز بن عبد السلام، ومواقفه أمام أعداء الإسلام بمصر والشام، وموقفه من المماليك ، ومؤلفاته.

١٠- الإمام ابن دقيق العيد ومواقفه الخالدة بمصر والشام، ومؤلفاته.

١١- الإمام الجليل الشيخ علىّ أبو الحسن الشاذلى، وموقفه من الحروب الصليبية بمصر والشام، بعد أن كف

بصره، ومن حوله كبار علماء مصر ومنهم الحافظ زكيّ الدين المنذرى، والعز بن عبد السلام، وكبار علماء الصوفية فى عصره .

١٢- ونذكر من رجال هذا القرن الأمير عبد القادر الجزائرى الصوفى الشاذلى، وموقفه من فرنسا المستعمرة بالجزائر .

١٣- ونذكر من رجال هذا القرن السلطان عبد الحميد، وهو صوفى شاذلى، وموقفه أمام تهويد فلسطين وأمام دول أوربا الصليبية .

١٤- ونذكر حبيب العشيرة الأمير عبد الكريم الخطابى الصوفى الشاذلى ، ومواقفه الكبرى بجيوشه أمام فرنسا بالمغرب .

١٥- ونذكر حبيب العشيرة الإمام الصوفى الخضر حسين شيخ الأزهر وجهاده فى المغرب العربى قبل اللجوء إلى مصر وبعده .

١٦- ونذكر حبيب العشيرة الإمام المبشر الطرازى مفتى آسيا النقشبندى وجهاده ضد الشيوعية، قبل وبعد لجوئه إلى مصر .

١٧- ونذكر الشهيد العظيم عمر المختار الصوفى. ومواقفه وجهاده ضد إيطاليا بأرض ليبيا، ومن قبله الإمام السنوسى الصوفى.

١٨- ونذكر المجاهد الجليل أحمد عرابى الصوفى الشاذلى، وموقفه ضد الإنجليز ورفاقه الصوفية الكرام فى مصر وسيلان.

١٩- ونذكر المجاهد السيد نور المشايخ المجددى، وتحريره بدراويشه النقشبندية الأفغان من الإنجليز.

٢٠- والشيخ الصوفى النقشبندى (شامل البوسنى) ثم الشيشانى ومواقفه برجاله ضد الشيوعية فى آسيا والبلقان ثم رجاله الآن.

وعلى الجملة نذكر: (محمد على جناح) مؤسس باكستان الصوفى القادرى، ورفيق جهاده شاعر باكستان الأكبر (محمد إقبال) الصوفى، كما لا ننسى فى مصر الشيخ الشرقاوى وعمر مكرم، والشيخ محمد عليش، والشيخ حسن العدوى، والشيخ أبو عليان الصعيدى، والشيخ أحمد الدردير، وكانوا جميعًا من خيرة الصوفية

الأبرار الأخيار، ولهم فى الجهاد الأكبر والأصغر أوفر نصيب، وإنما هذه مجرد نماذج من رجال التصوف فى دنيا المسلمين، ومن أمثالهم آلاف أو ملايين من قبل ومن بعد، رضى الله عنهم جميعاً.

٧- وحدة الوجود والفناء :

كل حملات خصوم الصوفية تدور حول كلام بعضهم فيما يشبه (الاتحاد أو الوحدة)، وإنما هى صور من (الفناء)، الذى أقره الشيخ ابن تيمية وشرحه بأكثر مما شرحه الصوفية أنفسهم، هذا ما لم يكن مدسوسًا عليهم بفعل النساخين ذوى الأغراض الخبيثة، وهو الذى نرجحه وكما سجله الشيخ الشعرانى، وما كشفه المحققون.

ومن أشهر من تدور الخصومة معهم أمثال الشيخ : (ابن عربى، وابن الفارض، وابن سبعين، والحلاج)، وكلامهم عندما محتمل قابل للتأويل العلمى، من أكثر من وجه ، والعلم الإسلامى يقرر أنه إذا كان للكلام وجه واحد مقبول من مائة وجه مرفوض، تعين الأخذ بهذا الوجه الواحد المقبول بالإجماع، وكلام هؤلاء وأمثالهم قابل للتأويل من

أكثر من وجه، وعند فرض عدم إمكان التأويل، فإننا نفوض أمرهم إلى الله، ما داموا على الشهادتين، مع النصيحة والإرشاد.

ومن جهة أخرى فإنه لم يبق اليوم أبدًا أحد يتعامل مع كلامهم ـ إن صحت نسبته إليهم ـ على الإطلاق، إلا آحاد من علماء التاريخ الفلسفى، فقد أصبح كلامهم من (حفريات الآثار) الفكرية، لا يتعلق به إلا المؤرخون المتخصصون، وهم قلة نادرة، ليسوا دعاة ، ولا شيوخ طرق على الإطلاق فلم يبق فى عصرنا من يهتم بهذا الجانب.

إن الذى يجب علاجه فى الصوفية، هو ما داخلها من البدع والمناكر بحكم الجهالة، ومن الحرام الشنيع أن يؤاخذ أهل هذا العصر بما كان من أهل العصور السابقة ، وإن كان الصوفية اليوم أفضل ألف مرة من العصور السابقة، وإن كان الصوفية اليوم أفضل ألف مرة من الأمس ، بحكم الصحوة الكبرى التى ترعاها العشيرة المحمدية، فضلاً من الله ونعمة أقرّبها من أقر، وجحدها من جحد.

٨- وكلمة أخيرة :

لا شك أبدًا فى أن قطاع الصوفية (الملتزمة وغير الملتزمة) هو أكبر قطاع فى الأمة الإسلامية بصفة عامة، ومن ثم وجب الاهتمام بها بما لها من الأثر البالغ ، ولهذا تعينت العناية بإصلاحها لا بتدميرها، بما لها من تاريخ نشر الإسلام فى العالم وخدمته بما لم يكن لغيرها.

ومما يحسب فى ميزان الصوفية الصحيحة أنهم يحبون غيرهم ويدعون له ولو خالفهم ، فردًا أو جماعة، وأنهم يدعو إلى التجميع، والترابط الإسلامى ، وتجاوز الخلافات الفرعية، وأنهم يبرءون من كل أسباب التفريق والتخريب والتدمير، والإرهاب والتعصب المرير، وأنهم يدعون إلى التعاون فى المتفق عليه (وهو كثير جداً)، كما يدعون إلى الاعتذار عن مخالفيهم، مع إمكانية الحوار والمناصحة المؤدبة المحببة وحسبك أنه ليس فى الإرهابيين صوفى قط.

وهم مع اهتمامهم التام بما تيسر لهم، وما رجح عندهم بدليله، من أساليب التعبد، وتحرّى معالى الأمور، والتماس مكارم الأخلاق، ليس فيهم (سرّية) أو انغلاق، ولا تحجر أو استدبار للأوليات، التى يفرض على المسلم أن

يشارك فيها بكل طاقته، فكل هذا عبادة يسعد الصوفى المستنير بممارستها كل السعادة ﴿**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين**﴾.

فالصوفى الحق لا ينسى أبدًا واجبه أمام الأزمات الاقتصادية، والتطورات الاجتماعية ، والتحديات العلمانية، والضغوط الأجنبية على الرقعة الإسلامية، ولا ينسى لؤم الصهيونية، ومحاولة هيمنتها عل مقررات الشرق الإسلامى والمغرب العربى ، ولا ينسى التحولات الفكرية والخلقية والبيئية، فيما يعقد من مؤتمرات لها ، تحت مسيمات مطاطة، كلها تعمية وتعتيم.

وهو لا ينسى مؤامرات اضطهاد الإسلام من الصليبية، ومن عناوينها ما يجرى بفلسطين والقدس ، وما يجرى فى البوسنة والشيشان، وبقية جمهوريات آسيا الإسلامية بعد تحررها من الشيوعية الدموية.

ولا ينسى الصوفى المستنير ماذا يراد بمصر عامة، وبالأزهر خاصة، واتخاذ الدعوة (السلفية) المزعومة وسيلة إلى زعزعة الثقة بهما، وصرف الناس عنهما، بالمال الحرام

المرصود من وراء الحدود ، لكيما تقصى مصر من الزعامة والسيادة ، والأزهر عن القيادة والريادة!!.

الصوفى المستنير متفاعل مع ما حوله من التحركات والتجولات ، على ما يرضى الله إيمانًا واحتسابًا (هذا هو تصوفنا) و﴿ **كل يعمل على شاكلته** ﴾ و﴿ **كل ميسر لما خلق له** ﴾ ، والحمد لله رب العالمين .

*** وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ***

وكتبه ابتغاء رضوان الله ونفع المسلمين المفتقر إليه تعالى وحده

محمد زكىّ الدين بن إبراهيم الخليل بن علىّ الشاذلىّ

رائد العشيرة المحمدية، وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر المحمية

---

* تمت بحمد الله (الطبعة الأولى) من هذا الكتاب (الممنوع والمشروع) لفضيلة الأستاذ الإمام السيد محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية، وذلك بالمركز الرئيسى للعشيرة المحمدية بالقاهرة ـ مصر، فى شهر ربيع الأول (١٤١٧ هـ)، الموافق شهر يوليو (١٩٩٦م). والله ولىّ التوفيق

الفهـــرست



هـذا الكتـاب

تحقيق علمى فقهى تاريخى موجز

فيما يتعلق بقضايا وأحكام :

- المساجد والقبور والأضرحة .
- المحاريب والقباب .
- الزيارة وشد الرحال .
- موالد الصالحين وزيارتهم .
- تاريخ مسجد الرسول .
- خلاصة أحكام التوسل .
- القراءة على القبور والموتى .
- منزلة أهل البيت .
- هذا هو تصوفنا .